

نقش الخواتيم
لدى الأئمة ٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الثانية
٢٠٠٤م - ١٤٢٥ هـ.

المركز الإسلامي للدراسات

نقش الخواتيم
لدى الأئمة ٨

السيد جعفر مرتضى العاملي

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه
أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم
أجمعين، إلى يوم الدين.

وبعد..

فهذا بحث مقتضب حول «نقش خواتيم الأئمة عليهم الصلاة
والسلام»، ودلالاتها ومراميها، كتبته للمؤتمر الذي يعقد في مدينة
«مشهد» حول، الإمام الرضا «عليه السلام»: حياته، ومواقفه،
وتاريخه. ولكن طبيعة البحث قد فرضت عليّ التعرض لخواتيم
المعصومين الأربعة عشر تقريباً.

أسأل الله سبحانه أن ينفع بما كتبت، وأن يجعله خالصاً لوجهه
الكريم، ويجعل ثوابه لشهداء الإسلام الأبرار، في إيران الإسلام
والثورة، وسائر بلاد العالم الإسلامي، التي تتعرض للمؤامرات
القدرية من قبل الإستعمار وعملائه الأشرار.

وفقنا الله للسير على هدى الإسلام، والالتزام بتعاليمه السامية،
ومنه نستمد العون والقوة، وعليه المعتمد والتكلان.

٢٣/شعبان/١٤٠٤ هـ.

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

تمهيد:

إن أئمتنا الأطهار «عليهم السلام»، هم القدوة، وهم الأسوة، وهم أعلام الهداية، من كلماتهم تقتبس العلوم والمعارف، ومن حياتهم، ومواقفهم، وكلماتهم تلمس العظات، والعبر، وتؤخذ الأحكام.

كما أن مما لا شك فيه، هو: أن كثيراً بل أكثر جوانب حياتهم صلوات الله وسلامه عليهم، لم تتل بعُد ما تستحقه من العناية والإهتمام، ولم تنزل رهن الإبهام والغموض، ولم يتعرض العلماء والباحثون لكشف غوامضها، ولا بذلوا الجهد الكافي لتوضيح وحل مبهماتهما.

وقد نجد كثيراً من مواقفهم، وجوانب حياتهم، قد اعتبرت من قبل البعض غير ذات أهمية، أو غير ذات مدلول حي، يعطيها من القيمة ما يجعلها جديرة بالبحث والدرس والتمحيص، الأمر الذي جعل الكثير من الباحثين والقراء يضربون عنها صفحاً، ويتجاوزنها إلى غيرها، مما اعتقدوا أن فيه أتم فائدة وأعلى، ونفعاً أعظم وأعلى..

ولكن الحقيقة هي:

أن ذلك لم يكن - على الأقل - هو الموقف الصحيح والسليم، فإن هذه الأمور بالذات، قد كانت ذا مغزى عميق، ومدلول هام ودقيق، وهي تدخل في نطاق خطتهم الجهادية، والرسالية، والتعليمية المرسومة، لأنها إنما تعني موقفاً مبدئياً ورسالياً، لا يمكن التفريط فيه، ولا التنازل عنه.

وليكن ما كان ينقشه كل إمام على الخاتم، الذي كان يتختم به، هو ذلك المثال البارز الذي نختار الإشارة إليه، والتركيز في بحثنا المقتضب هذا عليه..

لأننا نعتقد: أن ما كان ينقشه كل إمام من أئمتنا «عليهم السلام»، على الخاتم الذي يختار التختم به، وكذلك تختمه «عليه السلام» بالخاتم الذي تختم به الأئمة الذين سبقوه لم يكن لمجرد البركة، وإن كنا نرى أن التبرك بآثار الأئمة «عليهم السلام» أمرٌ لازم ومطلوب ولا غنى عنه، كما أنه لم يكن لمحض الترف والتنوع، ولا كان أمراً عفوياً على الإطلاق. وإنما كان يعبر - عموماً - عن ظاهرة من نوع معين، وعن ظروف وعن تقلبات إجتماعية، وسياسية ذات خصوصية بعينها، وعن مفهوم عقائدي أو ديني، وغير ذلك.

وكذلك هو يشير: إلى مميزات وملكات شخصية خاصة، لا بد من الدلالة عليها، أو التعبير عنها، أو تسجيل موقف ولو بهذا المستوى منها.

ونستطيع أن نؤكد على وجهة نظرنا هذه، استناداً إلى ما نملكه من تصور، مهما كان ناقصاً ومحدوداً عن تلك الظروف والأحوال، والتقلبات التي واجهها الأئمة «عليهم السلام» في العصور المختلفة، وفرضَ عليهم التأثير فيها، أو التفاعل معها.

وإنه وإن كانت المناسبة غير قادرة، أو بالأحرى لا تسمح لنا بالتوسع في هذا الموضوع، ولا تفسح المجال لحشد الأدلة والشواهد الكثيرة مع مصادرها على كثير مما نود الإشارة إليه، مما يمكن أن يكون موضع شبهة وريب لدى البعض.

إلا أننا لسوف نعتبر: أن قيمة هذا البحث وأهميته تكمن في أنه: قد فرض على الجميع المزيد من التأمل، والتروي في الأحكام التي

يصدرونها - أيًا كان نوع تلك الأحكام، وأيا كانت منطلقاتها ومبرراتها.

نقاط لا بد من الإشارة إليها:

ولتوضيح بعض ما نرمي إليه هنا.. لا بد أولاً من الإشارة إلى النقاط التالية:

١ - إن الخاتم يعتبر شعاراً، له دلالاته الخاصة، واعتباراته المتميزة، كما يظهر من ملاحظة التاريخ^(١).

٢ - إن من يتأمل ما ورد في الأخبار والنصوص، من اختلاف ظاهر بين العبارات التي كان يكتبها الأئمة «عليهم السلام» على الخواتيم التي كانوا يلبسونها، وحتى في العبارات المختلفة التي كانت تنقش على الخواتيم المتعددة التي يتختم بها إمام واحد منهم - إن من يتأمل ذلك - يخرج بحقيقة:

أنها تحمل في طياتها إشارات شديدة الوضوح أحياناً، ومع شيء من الخفاء - بالنسبة لنا - أحياناً أخرى، إلى أمور هامة، نابذة من طبيعة المرحلة التي كانوا يعايشونها، ومن واقع الإهتمامات التي كانت تفرض نفسها. وكانت من الخطورة والأهمية بحيث كان لا بد لهم من الإشارة إليها، وتحديد موقفهم منها، ولو بهذا المستوى، وحتى بهذا الأسلوب.

ولسنا بحاجة في مجال التدليل على ذلك، إلا للإشارة إلى مثال واحد، وواحد فقط. وهو مدى التفاوت بين ما كتب على الخاتم الذي كان يلبسه الإمام الحسين «عليه السلام»، وهو: «إن الله بالغ أمره». وبين ما كتب على الخاتم الذي كان يلبسه الإمام السجاد

(١) راجع: مآثر الإنافة ج ٢ ص ٢٣٢ وفي هامشه عن صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٧٣.

صلوات الله وسلامه عليه، وهو: «خزي وشقي قاتل الحسين بن علي عليه السلام».

٣ - إن من يراجع الأحاديث التي وردت فيها الإشارة على تلك النقوش، يلمس بوضوح أن ثمة تعمداً وإصراراً منهم «عليهم السلام» على بيان هذا الأمر، واهتماماً بالغاً بتوجيه الأنظار إليه، وإعلام الناس به. ليس فقط بالنسبة لخواتيم الأئمة «عليهم السلام»، وإنما حتى بالنسبة لنقوش الخواتيم التي كان يتختم بها الأنبياء السابقون عليهم الصلاة والسلام، في محاولة ظاهرة منهم «عليهم السلام» للتركيز والتأكيد على حقيقة يهتمون بتقريرها. أو اتجاه معين، يرون أن من الضروري التوجيه إليه، والتأكيد عليه. أو ضرب وإدانة مفهوم أو اتجاه، أو ظاهرة من نوع ما تفرض المسؤولية الرسالية تسجيل موقف رافض لها، حتى ولو من أجل تعريف الأجيال الآتية بأمور، وإظهار ما يمكن إظهاره من الحقائق لها.

فنجد الحسين بن خالد يسأل الإمام الرضا «عليه السلام» عن نقش خاتم أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، فيقول «عليه السلام» له: «ولم لم تسألني عما كان قبله؟!»

ثم يذكر له نقوش خواتيم الأنبياء، ثم نقوش خواتيم الأئمة الذين سبقوه عليهم الصلاة والسلام^(١).

٤ - إننا نجد النقول الحديثية والتاريخية تذكر نصوصاً مختلفة للنقوش التي كانت على الخواتيم، حتى بالنسبة لإمام واحد من أئمتنا الأطهار «عليهم السلام»..

ولا نجد ضرورة، لتعمد الكذب من أحد في أمور كهذه، لا تنثير

(١) سيأتي هذا الحديث مع مصادره عن قريب إن شاء الله تعالى..

عادةً شكوك أو حساسيات الآخرين، لأنهم قلما يلتفتون إلى مغازيها ومراميها الحقيقية.

ونلاحظ: أن كل واحد من تلك النقوش قد جاء منسجماً مع التحليل الموضوعي والمقبول لطبيعة المرحلة والظروف التي واجهها الأئمة «عليهم السلام» في فترات مختلفة، بحيث نجد: أن كل واحد من تلك النصوص، كان منسجماً مع الظرف والمرحلة التي عاشها الإمام الذي كان يتختم بذلك الخاتم، حتى إذا طرأ عليها تغيير من نوع ما فإن النص الآخر يأتي منسجماً مع المستجدات، كما سنوضحه إن شاء الله تعالى.

من أجل ذلك كله نقول: إننا لا نرى أي مانع من الإعتقاد بصحة أكثر أو كل تلك النصوص، التي حتى لو كانت قد تعرضت لشيء من التغيير والتحوير، فإنما هو بسبب تقلبات الأحوال في المدى الزمني الشاسع الذي يحمل معه - عادة - الكثير من التصحيف والتحريف المعنوي، والسهو والخطأ من الرواة والنساج، وذلك أمر ليس بعزيز.

وإننا إذا راجعنا الروايات في هذا المجال، فلسوف نجد إشارات صريحة إلى هذا التغيير المتعمد، الذي يظهر في نقش الخواتيم، حين تتبدل الظروف.

كما أننا نلاحظ: أن ثمة تعمداً لإظهار ذلك التغيير والتبديل. وكشاهد على ذلك نشير: إلى أنه قد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»، أنه قال: في خاتمي مكتوب: «الله خالق كل شيء».

وعن الرضا «عليه السلام»: نقش خاتمي: «ما شاء الله القوة إلا بالله».

وعنه «عليه السلام»: «كان نقش خاتم أبي الحسن موسى بن جعفر «عليه السلام»: «حسبي الله».

قال: «وبسط الرضا كفه وخاتم أبيه في إصبعه حتى أراني النقش».

وأخرج الرضا «عليه السلام» خاتم أبي عبد الله الصادق «عليه السلام»: «أنت ثقتي فاعصمني من الناس»^(١).

بل يظهر من أكثر الأحاديث التي وردت في هذا المعنى: أن الأمام «عليه السلام» كان هو البادئ في بيان نقوش خواتيم الأئمة والأنبياء، وليس فيها إشارة إلى طلب ذلك من سائل إلا فيما ندر.

٥ - قد جاء في تلك النصوص والروايات: أن بعض الأئمة كان يتختم بخاتم أبيه، أو أحد الأئمة السابقين مطلقاً، أو في يوم الجمعة مثلاً، ثم يكون له في نفس الوقت خاتم آخر يختص به، له نقش آخر أيضاً.

ولعل الملاحظة الدقيقة تعطي: أن سبب ذلك هو: أنه قد كان ثمة تداخل في الدورات الزمانية، وفي الأحوال والأوضاع والظروف التي كانت تواجه الأئمة «عليهم السلام». الأمر الذي يفرض وحدة الموقف من قبل أكثر من إمام. وقد تنشأ ظواهر وظروف جديدة إما إلى جانب تلك، أو منفصلة منها بحيث تمس الحاجة إلى تسجيل موقف آخر، يرافق ذلك الموقف الأول، لفترة طويلة أو قصيرة، أو ينفصل عنه.

وقد تنقطع هذه الظاهرة، أو تضعف لفترة ما، ثم تعود للظهور والقوة من جديد، الأمر الذي يستدعي: العودة للإشارة إليها، أو مقاومتها ومقارعتها، أو تسجيل موقف تجاهها للتاريخ وللأجيال، بالسبل المناسبة والمتوفرة بالفعل.

٦ - وحديثنا هنا.. وإن كان يفترض فيه أن يركز ويعالج

(١) سيأتي هذا الحديث مع مصادره عن قريب إن شاء الله تعالى..

خصوص ما يرتبط بحياة ثامن الأئمة «عليه السلام»، الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه أجمعين. إلا أن حياة الأئمة في واقع الأمر، و بالنسبة لخصوص هذا الأمر لها امتداد واحد، ولا يمكن فصل بعضها عن البعض الآخر، ما دام أنهم «عليهم السلام» يمثلون خطأ واحداً، ويعملون من منطلق واحد، ومن أجل هدف واحد، وإن اختلفت الظروف التي فرضت على كل واحد منهم آثارها المتخالفة كما هو معلوم. فمن الطبيعي أن يفرض على الباحث في هذا الأمر بالذات استعراضاً موجزاً ومحدوداً جداً لنقوش الخواتيم التي كان يتختم بها الأئمة السابقون «عليهم السلام»، والنبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، وفاطمة الزهراء «عليها السلام» أيضاً، لبيان ما ترمي إليه، فإن ذلك يساهم في فهم أعمق للنقش الذي كان على الخاتم الذي كان يتختم به الإمام الرضا عليه الصلاة والسلام.

ولا نريد أن ندعي: أننا قد اكتشفنا كل الحقيقة في هذا المجال، ولكننا نقول: ليكن ما نشير إليه هنا هو الخطوة الأولى، والبداية المعقولة والمحدودة، التي تحتاج في تكاملها ونضجها إلى المزيد من التأمل والجهد والمثابرة.

وبعد كل ذلك نقول: إننا سوف نتكلم في هذا المجال على النحو التالي:

حديث جامع في نقش خواتيم الأئمة ٨:

لقد روي عن الإمام الرضا «عليه السلام» حديث جامع، ذكر فيه نقوش خواتيم الأئمة الذين سبقوه، بل تعرض فيه لنقوش خواتيم بعض الأنبياء السابقين «عليهم السلام» أيضاً.

حيث سأله الحسين بن خالد الصيرفي: «وما كان نقش خاتم أمير المؤمنين «عليه السلام»؟
قال: ولم لا تسألني عما كان قبله؟

قلت: فأنا أسألك؟

قال: نقش خاتم آدم «عليه السلام»: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» هبط به معه.

وزاد في بعض المصادر: «علي ولي الله».

ثم ذكر ما جرى لنوح ونجاة الله تعالى له من الغرق، وأن نقش خاتمه كان: «لا إله إلا الله ألف مرة، يا رب أصلحني».

ثم ذكر «عليه السلام» ما جرى على إبراهيم، حينما أرادوا إحراقه، وأن الله أهبط إليه خاتماً فيه ستة أحرف: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، فوضت أمري إلى الله، أسندت ظهري إلى الله، حسبي الله».

ثم ذكر أن نقش خاتم موسى «عليه السلام»: «إصبر تؤجر، إصدق تنج».

ثم قال «عليه السلام»: وكان نقش خاتم سليمان «عليه السلام»: «سبحان من ألجم الجن بكلماته».

وكان نقش خاتم عيسى «عليه السلام» حرفين، اشتقهما من الإنجيل: «طوبى لعبد ذكر الله من أجله، وويل لعبد نسي الله من أجله».

وكان نقش خاتم محمد «صلى الله عليه وآله»:

«لا إله إلا الله، محمد رسول».

وكان نقش خاتم أمير المؤمنين «عليه السلام»: «الملك لله».

وكان نقش خاتم الحسن بن علي «عليهما السلام»: «العزة لله».

وكان نقش خاتم الحسين «عليه السلام»:

«إن الله بالغ أمره».

وكان علي بن الحسين «عليهما السلام» يتختم بخاتم أبيه الحسين «عليه السلام».

وكان محمد بن علي «عليهما السلام» يتختم بخاتم الحسين بن علي «عليهما السلام».

وكان نقش خاتم جعفر بن محمد «عليهما السلام»:

«الله وليي وعصمتي من خلقه».

وكان نقش خاتم أبي الحسن موسى بن جعفر «عليهما السلام»:

«حسبي الله».

قال الحسين بن خالد:

«وبسط أبو الحسن الرضا «عليه السلام» كفه، وخاتم أبيه «عليه السلام» في إصبعه، حتى أراني النقش»^(١).

محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن يونس بن ظبيان، وحفص بن غياث، جميعاً، عن أبي عبد الله، قلنا: جعلنا فداك، أكره أن يكتب الرجل في خاتمه غير اسمه و اسم أبيه؟

فقال: في خاتمي مكتوب:

«الله خالق كل شيء».

(١) أمالي الصدوق ص ٤٠٩ و ٤١٠ عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٥٥ و ٥٦ وراجع البحار ج ١١ ص ٦٢ و ٦٣ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج ٢ ص ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٥ والوسائل ج ٣ ص ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٢ والكافي ج ٦ ص ٤٧٤ ومكارم الأخلاق ص ٩١ و ٩٢ وراجع أيضاً: الخصال ج ١ ص ٣٣٥ لكنه ذكر شرطاً من الحديث، وهو نقش خاتم آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام.

وقد قطع صاحب البحار وغيره هذا الحديث، وذكروا تنقاه منه في المناسبات المختلفة حسبما يقتضيه المقام..

وفي خاتم أبي محمد بن علي «عليهما السلام»، وكان خير
 محمدي رأيته بعيني:
 «العزة لله».

وفي خاتم علي بن الحسين «عليهما السلام»:
 «الحمد لله العلي العظيم».

وفي خاتم الحسن و الحسين «عليهما السلام»:
 «حسبي الله».

وفي خاتم أمير المؤمنين «عليه السلام»:
 «الله الملك»^(١).

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والوسائل ج ٣ ص ٤٠٨.

١ - الرسول الأكرم ١

ألف - فيما يرتبط بنقش الخاتم الذي كان يتختم به نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله» نقول: إنما صنع الخاتم له «صلى الله عليه وآله» وتختم به في المدينة المنورة، بعد الهجرة، أي بعد أن تحققت الأمنية الكبرى وعز الإسلام، وأرسيت دعائم الدولة الإسلامية، وصدق الله سبحانه وعده، وأعز جنده، ونصر عبده. فكان لابد من تسجيل ذلك، والإشادة به، ثم التذكير للناس آنئذٍ، بل وإفهام الآخرين من غيرهم، بأن كل ذلك قد جاء وفق ما وعد الله به نبيه الكريم.. الأمر الذي يؤكد على ضرورة العمل على تأكيد وتعميق الارتباط به سبحانه، والإلتجاء إليه، والتوكل في جميع الأمور عليه..

وذلك يفسر لنا: المغزى من كون نقش خاتمه «صلى الله عليه وآله» هو:

«صدق الله»^(١).

ب - ومن جهة أخرى، فقد كانت مهمة النبي «صلى الله عليه وآله»، أقدس وأخطر مهمة يتصدى إنسان للقيام بها على وجه الأرض. فكان طبيعياً أن يتضمن نقش الخاتم الذي يتختم به «صلى الله عليه وآله» أقدس كلمة، وأخطر شعار نذر نفسه من أجله وفي سبيله، فزاد على قوله: «صدق الله» كلمة «محمد رسول الله»،

(١) راجع: الخصال ج ١ ص ٦١ والوسائل ج ٣ ص ٤١١ والبحار ج ١٦ ص ٩٦ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٦ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٠٢.

حسبما نقله أبو خلدة، عن أبي العالية^(١).
وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: أنه كان له «صلى الله عليه وآله» خاتم آخر غير الأول، مكتوب عليه:
«لا إله إلا الله، محمد رسول الله»^(٢).
وفي نص آخر: «إن نقش خاتمه «صلى الله عليه وآله» كان:
«محمد رسول الله»^(٣).
ورواية أخرى تقول: إنه كان:
«بسم الله، محمد رسول الله»^(٤).
نعم: لقد كان ذلك من أجل تقرير هذا الشعار، وتثبيتته وترسيخه

(١) طبقات ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ١٥٦ لكن في عيون الأخبار ج ١ ص ٣٠٢ أن الخلفاء الحقوا بذلك..

(٢) الخصال ج ١ ص ٦١ والوسائل ج ٣ ص ٤١١ والبحار ج ١٦ ص ٩٦ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٦ وليراجع ص ٩٥ وج ١١ ص ٦٣ والتراتب الإداري ج ١ ص ١٨٠ والحديث الجامع المتقدم عن الإمام الرضا «عليه السلام».

(٣) راجع: الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ و ٤٧٤ ودعائم الإسلام ج ٢ ص ١٦٥ وقرب الإسناد ص ٣١ ومكارم الأخلاق ص ٨٥ و ٨٩/٩٠/٩١ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج ٢ ص ٣٦٦ و ٣٦٨ وسنن البيهقي ج ٤ ص ١٤٢ وقال: إن البخاري ومسلماً قد أخرجاه أيضاً، والبحار ج ١٦ ص ٩٥ و ١٢٢ و ١٢٤ والوسائل ج ١ ص ٢٣٣ وج ٣ ص ٤٠٩ والتراتب الإداري ج ١ ص ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ عن البخاري ومسلم والترمذي، والسيوطي، وتاريخ ابن كثير، والطبقات ومختصر التاريخ لابن الكازروني ص ٥٩ وطبقات ابن سعد ج ١ ص ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ ومآثر الإنافة ج ٢ ص ٢٣٢ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٢ و ٣ و ٤ عن أبي داود، والبخاري وعن مسلم، وأهل السنن الأربعة.

(٤) التراتيب الإدارية ج ١ ص ١٧٩ و ١٨٠ وطبقات ابن سعد ج ١ ص ١٦٤.

في النفوس، وليختم به رسائله للملوك والحكام، معلناً لهم إصراره على متابعة مسيرة العمل في سبيل الله، حتى يعم الإسلام العالم، وترتفع رايته خفاقة على جميع بقاع الأرض..

ج - وإذا كان الكثيرون يحسبون: أن هذه الدعوة ما هي إلا سحابة صيف، لا تلبث أن تتحسر، ولا تلبث أن تنتهي، وهم يُعدُّون أنفسهم، ويتخذون مواقفهم، ويقيمون تعاملهم معها على هذا الأساس، فإن من الطبيعي أن يشير «صلى الله عليه وآله» إلى خلل هذه النظرة، ثم يؤكد على أن لهذه الرسالة امتداداً من بعده، ويفهمهم: أن بقاءها ليس مرهوناً بشخصه الشريف «صلى الله عليه وآله»، وأن لديها من التخطيط للمستقبل ما يكفي لدوامها وبقائها بقوة وبحيوية، من خلال الولي الحافظ لها، والمدافع عنها.

فيأتي النص الآخر ليشير: إلى هذه الحقيقة، فيقول: إنه قد أضيف كلمة أخرى إلى نقش خاتم النبي «صلى الله عليه وآله» حتى صار:

«محمد رسول الله، علي ولي الله»^(١).

٢ - فاطمة الزهراء ÷

وينتقل الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» إلى الرفيق الأعلى، وتواجه ابنته فاطمة الزهراء «عليها السلام» أعظم

(١) البحار ج ١٦ ص ٩٢ وج ٤٠ ص ٣٧ و ٣٨ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٦.

التحدي، وتتعرض لكثير من الإهانات، وللظلم والابتزاز، بل وللإعتداء عليها بالضرب. والتهديد، أو الشروع بإحراق بيتها عليها وعلى جميع من فيه وغصب فذك منها. إلى غير ذلك مما لا يجهله أحد..

وتقول فاطمة «عليها السلام» كلمتها، وتسجل موقفها الرسالي الرائد. وتعلنها صريحة مدوية: إنها لا تجد في كل ذلك وسواه ما يخيف أو ما يرهب، لأن روحها الصافية ترتبط بالله، وبالله وحده، ولأنها لا تلجأ إلا إليه، ولا تعتمد ولا تتوكل في كل أمورها إلا عليه، فيكون نقش الخاتم المختص بها هو: «أمن المتوكلون»^(١).

(١) البحار ج ٤٣ ص ٩ عن مصباح الكفعمي، وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٦.

٣ - أمير المؤمنين x

أما بالنسبة لأمير المؤمنين «عليه السلام» فإننا نلاحظ: أنه قد كان له «عليه السلام» خواتيم متعددة الأنواع، مختلفة النقش.

ونلاحظ أيضاً: أنه «عليه السلام» حينما تولى الخلافة قد غير نقش خاتمه عما كان عليه قبل ذلك.

ونلاحظ كذلك: أنه حتى في أيام خلافته قد اختلفت الخواتيم التي كان يستعملها.

فنجده: أن خاتمه حينما صالح أهل الشام يختلف عن غيره مما كان يتختم به في ظروف أخرى..

واستيفاء الكلام فيما يرتبط بنقش خواتيمه «عليه السلام» متعسر، بل متعذر في فرصة كهذه، ولأجل ذلك، فإننا نكتفي هنا بالإشارة إلى ما يلي:

ألف - إن أمير المؤمنين «عليه السلام»، هو ذلك العلم الشامخ، والإنسان الكامل، وهو أيضاً ذلك المقاتل الفذ، والمحارب البار، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم. بل هو يسحق ويمحق كل أعداء الله والإنسانية، ويقف في وجه جميع أصحاب الأهواء والمطامع اللامشروعة.

وهو «عليه السلام» - يتختم بالفيروزج - الذي معناه بالفارسية: «الظفر»، ليكون رمزاً لظفر ونصر الحق والدين، ويتختم بالحديد الصيني، الذي هو رمز القوة والمنعة - وبالعقيق لحرزه وحفظه. وبالياقوت لنبله.. ويكون نقش كل واحد منها متناسباً مع الواقع الذي يواجهه، والظروف التي يعاني منها، ويعالج مشكلاتها..

فإذا كان «عليه السلام» يواجه طغيان المستبدين، وتألب الطامعين، وطلاب الملك والسلطان، الذين لا يتورعون عن أي شيء يوصلهم إلى ما يحبون، والتحويل والتزوير أحد وسائلهم، فإننا نجد نقش واحد من خواتيمه «عليه السلام» يشير إلى الحق في الملك، في إدانة ضمنية لكل الغاصبين الذين يريدون أن يكونوا ملوكاً جبارين. ويرون أن جبروتهم، وقوتهم بسبب قوتهم الذاتية، التي تخولهم التصرف بمصير الأمة والتصدي لقيادتها.

هذا عدا عن أنهم يرون: أن بيدهم حياة الناس وموتهم، ورزقهم وحرمانهم.

إنه «عليه السلام» يشير: إلى ذلك، وإلى أنهم إنما وصلوا إلى ما وصلوا إليه عن طريق التزوير والتحويل، وأن ما يدعونه لأنفسهم لا يعدو كونه منازعة لله سبحانه وتعالى رداءه. وليس إلا اغتصاباً لمقام الله، وتعدياً على حقه سبحانه، فهو سبحانه وحده الذي يعطي الملك من يشاء، وينزعه عن من يشاء^(١).

إنه «عليه السلام» يشير: إلى ذلك كله بكلمة واحدة، كتبها على أحد تلك الخواتيم، وهي: «الملك لله».

أو «الله الملك»^(٢).

(١) راجع ما قاله النبي «صلى الله عليه وآله» لبني عامر في كتابنا. الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ٢ ص ١٧٥ و ١٧٦.

(٢) راجع الحديثين الجامعين المتقدمين ومصدرهما بالاضافة الى: البحار ج ٤٢ ص ٦٨ و ٦٢ و ٦٩ و ٧٠ و ج ١٦ ص ١٢٢ و ٩٥ و ٩٦ والوسائل ج ١ ص ٢٣٤ و ج ٣ ص ٣٠٦ و ٣٠٥ و ٤٠٩ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٤٠٥ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٠٢ ومكارم الأخلاق ص ٨٦ و ٨٧ و ٨٩ و ٩١ وقرب الإسناد ص ٣١ و ٧٢ والكافي ج ٦ ص ٤٧٣ و ٤٧٢

أو «الله الملك الحق المبين».

أو «لا إله إلا الله الملك الحق المبين»^(١).

ب - كما أنه يشير: إلى أنه وحده الذي يمثل الخط الرسالي الصحيح، وينقاد لله سبحانه، ويستحق وسام العبودية المطلقة لله تعالى، والتي هي أعظم الدرجات، وغاية الغايات، فيزيد عبارة تدل على هذا المعنى، حتى يصير نقش خاتمه «عليه السلام»:

«الله الملك، وعلي عبده»^(٢).

وفي إشارة منه «عليه السلام» إلى ما يدّعيه أولئك الجبارون من العزة والمنعة، نجد أن نقش خاتمه الآخر هو:

«العزة لله جميعاً»^(٣).

ج - وإذا كان نقش خاتمه «عليه السلام» قبل أن يتولى الخلافة هو «الملك لله»، فإنه بعد أن تولّاها قد نقش على خاتمه نفس هذا المعنى، لكن بإضافة كلمتين، ليصبح كالتالي:

«الملك لله الواحد القهار»^(٤).

وبعض النصوص تقول: إن العبارة الأولى كانت على جانب،

- وج ٢ ص ٢٧٢ والتهذيب للشيخ الطوسي ج ١ ص ٣٢ والاستبصار ج ١ ص ٤٨ وثواب الاعمال ص ٢٠٩ و ٢١٠ والطبقات ج ٣ قسم ١ ص ٢٠.
- (١) راجع: علل الشرايع ص ١٥٧ والخصال ج ١ ص ١٩٩ والبحار ج ٤٢ ص ٦٨ والوسائل ج ٣ ص ٣٠٥ و ٤٠٨ وراجع عنوان المعارف ص ١٥ ومختصر التاريخ لابن الكازروني ص ٧٨.
- (٢) جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار ج ٥ ص ٣٧٠.
- (٣) راجع: علل الشرايع ص ١٥٧ والخصال ج ١ ص ١٩٩ والبحار ج ٤٢ ص ٦٨ والوسائل ج ٣ ص ٣٠٥ و ٤٠٨.
- (٤) راجع: ج ٨ ص ٣١٤ من وسائل الشيعة في الهامش عن الأمان من أخطار الزمان لابن طاووس ص ٣٤ وراجع تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٨٣ ومآثر الإنافة ج ١ ص ١٠٠.

فلما تولى الخلافة نقش العبارة الثانية على الجانب الآخر^(١).

فهو صلوات الله وسلامه عليه يعرف، ويريد للناس أن يعرفوا - سواء قبل الخلافة أو بعدها - أن الله وحده هو الملك على الحقيقة، ولا ملك سواه. وهو ينقش ذلك على خاتمه ليذكر نفسه وكل أحد بأن خلافته لم تغير هذا المفهوم عنده. فالله هو الواحد المتفرد بالألوهية، والذي لا شريك له، هو الملك، وكل من عداه لا يملك لنفسه - فضلاً عن غيره - نفعاً ولا ضرراً.

فلا يجب أن يرتفع الناس بملوكهم وحكامهم وبمن يتولى أمورهم إلى مراتب لا يستحقونها، وعليهم أن لا يتوقعوا منهم ما لا يملكون إعطاءه ولا منعه.

وإذا كان الله سبحانه هو القهار فوق عباده، وكل من عداه فهو ضعيف ومقهور أمام عظمته وسلطانه سبحانه. فإن عليه «صلوات الله وسلامه عليه» بعد أن وصل إلى الحكم: أن يضع هذه الحقيقة نصب عينيه دائماً وأبداً.

وأن يعلم: أنه ليس إلا مجرياً لأحكام الله سبحانه. وليس له أن يكون قهاراً ولا جباراً، ولا يجوز له أن يتجاوز حده، ما دام أن الملك ليس له، وإنما هو الله الواحد القهار، والله هو الحاضر والناظر والمهيمن.

د - وإن مما يلفت النظر حقاً، ما رواه ابن سعد: عن أبي إسحاق الشيباني، قال: قرأت نقش خاتم علي بن أبي طالب في صلح أهل الشام:

«محمد رسول الله»^(٢).

(١) راجع: وسائل الشيعة ج ٨ ص ٣١٤ في الهامش عن الأمان من أخطار الزمان ص ٣٤.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٣ قسم ١ ص ١٩ و ٢٠.

وعن علي بن حسين، قال: «كان خاتم رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع أبي بكر وعمر، فلما أخذه عثمان سقط فهلك فنقش علي نقشه»^(١).

ونحن لا نريد أن نتعرض لإثبات عدم صحة ما يزعمونه من وصول خاتم النبي «صلى الله عليه وآله» إلى غير علي «عليه السلام»، وعدم صحة ما زعموه من أن هذا الخاتم قد سقط فهلك.. فإن موارد رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد كانت عند علي «عليه السلام» دون سواه.

غير أننا نقول:

إن إظهار علي «عليه السلام» لخاتم رسول الله «صلى الله عليه وآله» واستخدامه في وثيقة الهدنة مع أهل الشام له دلالة العميقة والهامة، من حيث إنه «عليه السلام» يريد أن يفهم معاوية والناس جميعاً: أنه هو الذي يمثل النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، وهو خليفته الشرعي الذي يتوثب المتوثبون على حقه وتراثه. «أرى تراثي نهياً»^(٢).

وكذلك: فإن حربه لمعاوية وحزبه لم تكن إلا من منطلق رسالي، ومن أجل الحفاظ على دين الله، فهو الذي يقول «لقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلبت ظهره وبطنه، فلم أر لي إلا القتال أو الكفر الخ..»^(٣).

كما أن قبوله للتحكيم الذي أجبره عليه الأعراب الجفاة،

(١) الطبقات الكبرى ج ١ قسم ٢ ص ١٦٥ ولعل اسقاط عثمان له في بئر أريس، حسبما روي في كتب الآخرين قد افتعل من أجل أن لا يصل الخاتم إلى علي، ولا يكون له نصيب من التختم بخاتم رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

(٣) نهج البلاغة بشرح عبده ج ١ ص ٩٠ ط مطبعة الإستقامة بمصر.

وأصحاب الأهواء، لم يكن إلا من أجل هذا الدين، والحفاظ على الرسالة التي جاء بها محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله». وهو بذلك يذكر أولئك الجهلة والمغرورين بما كان قد جرى للنبي «صلى الله عليه وآله» في صلح الحديبية، حينما محا كلمة «رسول الله» بإصرار من ممثل المشركين، فلا غرو إن جرى لأمر المؤمنين «عليه السلام» مع البغاة عليه نفس ما كان قد جرى لرسول الله «صلى الله عليه وآله» مع أعدائه.

هـ - لقد كان أمير المؤمنين «عليه السلام» يرى: كيف أن الناس قد ركنوا إلى الدنيا، وراقهم زخرفها، واتبعوا أهواءهم، ولم يعد للدين وللإسلام في حسابهم أي اعتبار أو دور يذكر، الأمر الذي يعبر عن ضعف إيمانهم بالله، وعن عظيم جهلهم، وضعف يقينهم. وقد عبّر أمير المؤمنين «عليه السلام» عن ذلك بما كتبه على خاتمه، وهو: «علي يؤمن بالله»^(١).

و - كان هناك من يرون أنفسهم أنهم يتسلطون على الناس، فإنهم قد أصبحوا يملكون القدرة والقوة، وتهيأت لهم أسباب المنعة، يسيئون استعمال هذه القدرة، ويضعونها في غير مواضعها، مع أنها ليست قدرة حقيقية لهم، وإذا كان الله سبحانه هو القاهر والقادر الحقيقي، الذي يُعْمَلُ قدرته في ما هو خير ومصلحة للناس فإنه «عليه السلام» يشير إلى ذلك بما نقشه على خاتمه أيضاً، وهو: «نعم القادر الله»^(٢).

ز - كما أنه «عليه السلام» وهو الذي واجهته المصائب والمصاعب، ونزلت به النوازل، فلم يجد معيناً ولا ناصرأ غير الله

(١) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٦٥.

(٢) مكارم الأخلاق ص ٩١ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٠٢.

سبحانه، فإن نقش خاتمه يكون:

«حسبي الله»^(١).

ح - ثم إنه حين يصبح مستهدفاً من قبل أعدائه نجده لم يغفل عن الإشارة إلى ذلك، وإلى أنه لا يعتمد على قدرته الشخصية، وإنما يعتمد في دفعهم على الله وعلى الله فقط، فيكون نقش خاتمه:

«أسندت ظهري إلى الله»^(٢).

ط - وأخيراً.. فقد جاء أن نقش خاتمه العقيق كان ثلاثة أسطر:

«ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، أستغفر الله»^(٣).

وفي حديث آخر: «أنه كان له خاتم من جوهر الحديد الصيني الأبيض الصافي، وعليه منقوش هذه الأسطر على سبعة أسطر، وكان يلبسه عند الشدائد:

«أعددت لكل هول لا إله إلا الله، ولكل كرب لا حول ولا قوة إلا بالله، ولكل مصيبة نازلة حسبي الله، ولكل ذنب وكبيرة أستغفر الله، ولكل هم وغم فادح: ما شاء الله، ولكل نعمة متجددة الحمد لله، ما بعلي بن أبي طالب من نعم فمن الله»^(٤).

٤ - الإمام الحسن x

ألف - وعن الإمام المجتبي صلوات الله وسلامه عليه نقول:

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١١٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) علل الشرايع ص ١٥٧ والخصال ج ١ ص ١٩٩ والبحار ج ٤٢ ص ٦٨.

والوسائل ج ٣ ص ٣٠٥ عن الأولين.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٩١.

كان يعاني من ظروف قاهرة وقاسية، من أهمها: جهل الأمة بحقيقة ما يراد بها، وبالمصير الذي تساق إليه على أيدي حكامها. وأصحاب النفوذ فيها، ويكفي للتدليل على ذلك، ما ظهر من ميل الناس إلى دنيا معاوية، وتركهم نصره الحق، حتى جرى ما جرى بين الإمام الحسن «عليه السلام»، وبين معاوية والأمويين.

ويا ليت الأمور كانت قد وقفت عند هذا الحد، بل تجاوزت ذلك إلى ما هو أعظم وأدهى، حتى لنجد أصحاب الإمام الذين يفترض فيهم أن يكونوا هم الطليعة المؤمنة، والعارفة بالحق، ولنا أن نتوقع أن يكونوا على درجة كبيرة من الوعي والنضج، لم تستطع التفاعل مع الأحداث، ولا تمكنت من تقييمها تقييماً موضوعياً سليماً، حتى إنهم ليعتبرون صلح الإمام الحسن لمعاوية، والذي كان من أجل إسقاط شرعية الحكم الأموي على يد مؤسسه نفسه، وكان أيضاً من أجل الحفاظ على المؤمنين وعلى الإسلام كله، بحيث بات واضحاً أنه لولا ذلك لم يبق من الإسلام حتى اسمه، ومن الدين حتى رسمه، كما أنه قد ساهم في فضح الأمويين وتعريضهم إلى حد بعيد^(١).

نعم.. إننا نجد حتى أصحابه «عليه السلام» يعتبرون هذا الصلح بالذات أمراً شائناً ومعيباً، فيواجهون الإمام «عليه السلام» بالكلمة القاسية والجارحة والمرة:

«يا مذل المؤمنين».

فالإمام الحسن «عليه السلام» في ظروف كهذه يواجه أعظم مصيبة، ويعاني أشد الآلام، والغصص.

فمن الطبيعي أن يكون نقش خاتمه «عليه السلام» معبراً عن

(١) راجع: كتابنا الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» القسم الأول، الفصل الثاني، وكتابنا: عاشوراء بين الصلح الحسنی والكيد السفينی.

هذه الحالة ، وهو: «حسبي الله»^(١) فالله هو المعين، وهو الناصر، وهو المهيمن والقاهر، وكل من عداه لا يقدم أي عزاء، ولا يستطيع الإعتماد عليه في أية نازلة أو بلاء.

ب - إن الخلافة كانت قد أصبحت ملكاً عضوضاً قيصرياً، وكان معاوية يعتبر نفسه - أنه أول الملوك^(٢).

وقد فاض المال في أيدي الناس، والحكام، وغرتهم المناصب والولايات. وكان هذا الإنسان إلى الأمس القريب لا يعد شيئاً مذكوراً، ويعاني من أحط أنواع الذل، والضعفة، والمهانة. وها هو الآن قد أصبح يحكم الأقطار، ويثل العروش، ويستولي على البلاد والعباد.

فاذا علمنا: بالإضافة إلى ذلك: أنه لم يكن لدى الناس مناعات ولا قناعات كافية بالمعاني الإسلامية والإنسانية السامية، فمن الطبيعي أن يشمخ أهل الأموال والمتسلطون بأنافهم، وينظروا بأعطفاهم، وأن تأخذهم العزة، وتسيطر عليهم مشاعر العظمة والخيلاء بهذا المجد الطريف، بعد ذلك الذل والخنوع التالد، ولاسيما بعد أن تمكنوا - حسب تصورهم - من إبعاد أهل البيت «عليهم السلام» عن الساحة، الأمر الذي يعتبرونه تنويجاً لغاية آمالهم، ووصولاً إلى منتهى رغائبهم.

إذا كان كذلك، فإن من الطبيعي: إن نجد الإمام الحسن عليه الصلاة والسلام يسجل موقفاً حاسماً في هذا المجال، ويقاوم هذه الظاهرة بأساليب شتى، وطرق متنوعة، فيتختم بخاتم منقوش عليه: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين»^(٣).

نعم.. إن الله هو الملك الحق المبين. وملك سواه إن لم يكن هو

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والوسائل ج ٣ ص ٤٠٨.

(٢) راجع كتابنا الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام».

(٣) مختصر التاريخ لابن الكازروني ص ٨٠ ومآثر الإنافة ج ١ ص ١٠٦.

المعطي له إنما هو ملك زائف وباطل.. كما أن الله هو المبين والمظهر لكل زيف وخطل وانحراف، مهما جهد الغاصبون والظالمون في التستر على واقعهم، وإخفاء حقيقتهم وراء الأقنعة الصفراء الزائفة..

ويلاحظ: أن هذا هو نفس النقش الذي كان على واحد من خواتيم أبيه «عليه السلام»^(١).

ج - هناك أيضاً: ما سجله نقشاً على الخاتم الآخر، الذي كان يتختم به، وهو قوله:
«العزة لله»^(٢).

أو «العزة لله وحده»^(٣).

نعم.. إن العزة لله، والله فقط، لا لسواه من كل بني الإنسان. فليس لأحد أن يعتز بالملك أو أن يفاخر بعشيرة، أو أن يتباهى بمال. بل إن من الطبيعي أن يتحمل الإنسان في سبيل دينه ومبدئه الكثير من الآلام، والمتاعب والمشقات، ولا بد له من الصبر على بعض الكلمات الجارحة، التي كانت توجه إليه حتى ليعتبر مذلاً للمؤمنين، مع أن كل حركة تحركها، وكل موقف وقفه لم يكن إلا من أجل الحفاظ عليهم، و في سبيل حياتهم وسعادتهم وسلامة دينهم وإيمانهم، ولو بقيمة تحمل وضع استثنائي يرى فيه الناس الذل والهوان، ويرى هو فيه منتهى الشموخ والعزة، لأنه عمل وفق التكليف الشرعي، وعلى طبق الوظيفة الإلهية.

د - وهناك نص آخر لنقش الخاتم الذي كان يلبسه عليه الصلاة

(١) لا بأس بمراجعة المصدر السابق في هذا المجال أيضاً.

(٢) راجع مصادر الحديث المتقدم الجامع عن الإمام الرضا «عليه السلام» والبحار ج ٤٣ ص ٢٤٢ و ٢٥٨ والكافي ج ٦ ص ٤٧٢.

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٣٧.

والسلام، وهو:

«الله أكبر، وبه أستعين»^(١).

نعم.. الله أكبر من كل كبير، وأعظم من كل عظيم، وأعز من كل عزيز، الله أكبر، وهو المستعان على مواجهة بغي الباغين، وجبروت الجبارين.

هـ - وأما تختمه «عليه السلام» بالخاتم المنقوش عليه: «الحمد لله»^(٢)، فهو حمد لله على نعمائه، وشكر له على آلائه؛ فما بهم من نعمة فمن الله، وهم الذين (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)، فلا يرون في أعظم المحن، وأشد الأحوال إلا أنها مصدر أنس وراحة لهم، إذا كانت في سبيل الله، ولمحض رضاه تبارك وتعالى.

(١) عنوان المعارف ص ١٥ ومختصر التاريخ لابن الكازروني ص ٨٠ وفيه

«استعنت» بدل أستعين.

(٢) البحار ج ٤٣ ص ٢٥٨ عن الكافي.

٥ - الإمام الحسين x

وحول نقوش خواتيم الإمام الحسين «عليه السلام» نقول:
ألف - لقد كانت ظروف الحسين «عليهما السلام» في حياتهما السياسية متشابهة في كثير من فصولها؛ لأنهما إنما يقومان بواجبهما ويتحملان مسؤولياتهما الجسام، في برهة زمنية متقاربة في تحولاتها، وتقلباتها، وظروفها.
فمن الطبيعي: أن يكون ثمة تشابه في نقش بعض الخواتيم التي كانا يتختمان بها..
فعن أبي عبد الله، «عليه السلام» قال: «كان في خاتم الحسن والحسين:

«الحمد لله»^(١).

وعنه «عليه السلام»: «وفي خاتم الحسن والحسين:

«حسبي الله».

وفي خاتم أمير المؤمنين:

«الله الملك»^(٢).

وروى البيهقي وغيره عنه «عليه السلام»: أنه كان في خاتم

حسن وحسين:

«ذكر الله تعالى»^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) سنن البيهقي ج ٤ ص ١٤٣ وتاريخ جرجان ص ٤١٨.

(٣) راجع مصادر الحديث الجامع في أوائل هذا البحث المتقدم عن الرضا

إنه إذا كان كل منهما، قد خذله أصحابه، وكل منهما يلجأ إلى الله وإلى الله وحده، والله هو حسبه، فإن من الطبيعي أيضاً أن يتشابه نقش خاتميهما، ويكون للإمام الحسين «عليه السلام» كما للإمام الحسن عليه الصلاة والسلام خاتم منقوش عليه «حسبي الله»، وكذا الحال في كلمة: «الحمد لله»، حسبما قدمناه آنفاً.

ب - لقد واجه الإمام الحسين «عليه السلام» خذلان الأمة، التي ثار من أجلها، وفي سبيل حياتها وكرامتها ودينها، ولكن هذا الخذلان لم يفت في عضده، ما دام أن الله حسبه، ولا يهمله بعد هذا أن ينتهي الأمر باستشهاده مع ثلثة من أهل بيته وأصحابه، إذا كان ذلك هو الطريق الأمثل، الذي يحفظ هذا الدين من تحريفات المبطلين، وشبهات الغووين، فإن تلك هي مشيئة الله، وذلك هو أمره، فما عليه لو قام بواجبه، وأدى وظيفته؟

فجاء نقش خاتمه «عليه السلام» منسجماً مع ذلك كله، وهو: «إن الله بالغ أمره»^(١).

ج - وكان له «عليه السلام» خاتم آخر قد نقش عليه ما يعبر عن استعداد الله للقاء الله سبحانه، وإعداده العدة لذلك، وهو قوله: «لا إله إلا الله عدة للقاء الله»^(٢).

وهكذا ترتبط الحركة بالمبدأ، وبالغاية والمنتى ارتباطاً عقائدياً، راسخاً وعميقاً، فالله هو المبدأ، وهو الغاية، ومعه سيكون اللقاء في يوم البقاء.

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ)^(١).

«عليه السلام» والبحار ج ٤٦ ص ٦ و ٧ وج ٤٣ ص ٢٤٢ و ٢٤٧ و ٢٥٨ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٧ وأمالى الصدوق ١٢٨.

(١) البحار ج ٤٣ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ وأمالى الصدوق ١١٦ وراجع ١٢٨ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٧.

(٢) المصدر السابق.

وفي نص آخر: «إن نقش خاتمه «عليه السلام» كان:
 «لكل أجل كتاب»^(٢).
 وهو واضح المعنى، ظاهر المغزى أيضاً.

(١) الآية ٦ من سورة الإنشقاق .

(٢) نور الأبصار ص ١٢٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٥٧.

٦ - الإمام السجاد x

وعن الإمام السجاد «عليه السلام» نقول:

ألف - إن الإمام السجاد «عليه السلام» قد عاش أجواء كربلاء، وصلي بنار مآسيها وآلامها، ثم استمرت الظروف القاسية بفرض هيمنتها وآثارها، فكان من الطبيعي أن يذكر بتلك المآسي، حيث إنه كان يتختم بخاتم أبيه الذي كان نقشه: «إن الله بالغ أمره»^(١).

وفي هذه أيضاً: إعتزاز منه بأداء الوظيفة الشرعية والتكليف الإلهي، وإشارة صريحة منه: إلى أنه هو أيضاً يسير في نفس الخط، ويسلك نفس الطريق.

كما أنه كان يتختم بخاتم أبيه الحسين «عليه السلام» المنقوش عليه:

«لا إله إلا الله عدة للقاء الله»^(٢).

ب - وقد كان لابد له من العمل الدائب والجاد من أجل أن تؤتي المسيرة الجهادية التي بدأها أبوه سيد الشهداء ثمارها، وكان هو الذي يتحمل مسؤولية حفظ تلك الدماء الزكية، وأثرها في روح الأمة، وفي ضميرها ووجدانها.

وهذا معناه: أن عليه أن لا يكتفي بالبكاء على ذلك الشهيد الزكي، بل عليه أن يعلن هذا الأمر بكل وسيلة وشعار، وفي كل ليل

(١) راجع مصادر الحديث الجامع عن الرضا «عليه السلام».

(٢) أمالي الصدوق ١٢٦ والبحار ج ٤٣ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٧.

ونهار فكان من ذلك أنه نقش على خاتمه الإشادة بذلك الموقف الخالد، الذي لا يساوم ولا يهادن على حساب الدين والحق، وسجل إدانته الصريحة لموقف الخزي والعار لكل أعداء الله والإنسان، ولتلك الجريمة النكراء، ليبقى صداها الهادر خالداً و أبدياً، يتردد عبر الأجيال يصم آذان كل الطغاة و الجبارين، ويتحدى كل الجناة والبعثة.

نعم.. إنه ينقش على خاتمه «عليه السلام»:

«خزي وشقي، قاتل الحسين بن علي»^(١).

ج - وبعد ذلك، فقد كان الطغيان الأموي البغيض لا يزال يمتد ويمتد، ويتعالى ويشتد، حتى ليخيل إليهم:

أنهم - بقتلهم الحسين «عليه السلام» - قد حققوا أعز أمنياتهم وأغلاها، وبلغوا الغاية، وأوفوا على النهاية، وأنهم قد تخلصوا - حسب تصورهم - من أقوى خصومهم. وهم أهل البيت «عليهم السلام» وقضوا على دعوتهم قضاء تاماً ونهائياً، ويرون أنهم قد بلغوا الذروة، وحصلوا على أعلى درجات المجد والعزة.. كما تصور معاوية ذلك من قبل، حينما صالح الإمام الحسن «عليه السلام»، من أجل ذلك نرى الإمام السجاد «عليه السلام» يتختم بخاتم منقوش عليه نفس العبارة التي كانت منقوشة على خاتم عمه الإمام الحسن «عليه السلام»، وهي:

«العزة لله»^(٢).

د - وقد كان الإمام السجاد «عليه السلام» يأخذ على عاتقه مهمة

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٥٦ وأمالى الصدوق ص ١١٦ والوسائل ج ٣ ص ٤١٠ والبحار ج ٣ ص ٢٤٧ وج ٤٦ ص ٥ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج ٢ ص ٣٦٥.

(٢) قرب الإسناد ص ٣١ والبحار ج ٤٦ ص ٧ وج ٤٢ ص ٦٨.

إحياء الدين في ظروف هي من أصعب الظروف وأشدّها وأقساها، لاسيما وأنّ الناس بعد استشهاد أبيه ولأسباب مختلفة بينهاها في مقالنا الإمام السجاد «عليه السلام» باعث الإسلام من جديد^(١). قد تركوا أهل البيت «عليهم السلام»، وانصرفوا عنهم، حتى لم يعد أحد يعترف بإمامة السجاد «عليه السلام» سوى ثلاثة أشخاص^(٢).

وهذا يحتم على الإمام السجاد «عليه السلام» أن يبدأ مرحلة جهادية جديدة، زاخرة بالمتاعب والأخطار، وتحتاج لمزيد من العمل والمتابعة، ومزيد من الجهد المضني، والتسديد الإلهي، وكان نقش خاتمه «عليه السلام»:

«وما توفيقى إلا بالله»^(٣).

هـ - وقد وفقه الله سبحانه في جهاده الكبير ذاك، وهياً الأرضية المناسبة التي هيأت لنشوء مدرسة الإمامين الباقر والصادق «عليهما السلام» بعده. ولم يتمكن كل علو وعتو الأمويين وأعوانهم من أن يعيق المسيرة، أو يمنع من القيام بالواجب، فالله هو العلي، وهو المستحق للحمد على توفيقاته ونعمه، ولذلك جاء نقش الخاتم الآخر الذي كان يتختم به «عليه السلام» ليقول:

«الحمد لله العلي العظيم»^(٤).

و - ويعيش «عليه السلام» في زمن يسيطر عليه الجهل بالتعاليم الإلهية، حتى إن كثيراً من الهاشميين - فضلاً عن غيرهم - ما كانوا يعرفون كيف يصلون، ولا كيف يحجون^(٥). فكان لابد من إعلان الدعوة إلى العلم، حتى إذا حصل الإنسان عليه، فإن الدعوة

(١) راجع كتابنا دراسات وبحوث في التاريخ و الإسلام ج ١.

(٢) راجع الكشي ص ١١٥ و ص ١٢٣ وغيره.

(٣) نور الأبصار ص ١٣٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٨٧.

(٤) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والبحار ج ٤٦ ص ٥.

(٥) كشف القناع عن حجية الإجماع ص ٦٧.

إلى العمل به، هي الأهم والأولى.
 فيكون نقش خاتمه:
 «علمت فاعمل»^(١).

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٠٢.

٧ - الإمام الباقر x

ونجد تشابهاً في بعض مراحل وظروف حياة الإمام الباقر «عليه السلام» مع حياة وظروف الإمام الحسن «عليه السلام»، ثم الإمام الحسين «عليه السلام» ثم الإمام السجاد «عليه السلام» من بعده.

ويشير إلى هذا التشابه: قول الإمام السجاد «عليه السلام» للقاسم: «إياك أن تشد راحلة ترحلها هنا لطلب العلم، حتى يمضي لكم بعد موتي سبع حجج»^(١).

إن.. فمن الطبيعي أن يتختم «عليه السلام» بخاتم يكون نقشه نفس نقش خاتم الإمام الحسن «عليه السلام»، وبآخر يكون نقشه نفس نقش خاتم الإمام الحسين وولده السجاد «عليهما السلام». ولم يكن تختمه «عليه السلام» بخاتم جده الحسين «عليه السلام» المنقوش عليه: «إن الله بالغ أمره»^(٢).

إلا لأنه كان ثمة حاجة مستمرة لتذكير الأمة بمقام الأئمة الطاهرين، والتركيز التام على موقع أهل البيت «عليهم السلام» من الإسلام، ثم الإشادة بالموقف الرسالي الرائد للإمام الحسين «عليه السلام»، والتذكير بالجريمة النكراء التي ارتكبتها الأمويون في

(١) كشف القناع عن حجية الإجماع ص ٦٦.

(٢) راجع مصادر الحديث الجامع المتقدم عن الإمام الرضا «عليه السلام» بالإضافة إلى: البحار ج ٤٦ ص ٢٢١ وحياة الإمام الباقر للقرشي ج ١ ص ٢٨، وعن أعيان الشيعة ج ١ ص ١٦٩ وعن الكافي وغيره.

حقه، وحق أهل بيته وأصحابه، مع الإلماح إلى أن ثمة إصراراً على مواصلة المسيرة، وحفظ وصيانة وإنقاذ هذا الدين الذي أريد دفنه مع مزيد من الثقة بالطف الله وبعنايته، والكثير من التقاؤل بانطلاقته الجديدة، (إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ)، و (مُتِمُّ ثَوْرِهِ)، ومدخر نصره لعباده الأبرار مهما قست الظروف، ومهما جهد أعداء الله والإنسانية، وبرغم كل الرزايا والبلايا، التي يجلبها ظلمهم وتجبرهم، فإن كل ذلك ليس إلا (كَسْرَابٍ بَقِيْعَةٍ). ولم تكن ثورة الحسين «عليه السلام» إلا تلك الإنطلاقة الرائدة، والخطوة الثابتة على طريق تحقيق الأهداف الإلهية، فإن الله بالغ أمره

**إن كان دين محمد لم يستقم
إلا بقتلي يا سيوف خذيني**

وهذا بالذات ما يفسر لنا أيضاً تختمه بخاتم منقوش عليه:

«ظني بالله حسن

وبالني المؤمن^(١)

وبالوصي ذي المنن

وبالحسين، والحسن»

مع أن ذلك يتضمن: تحدياً سياسياً، وعقائدياً خطيراً من حيث

(١) راجع كشف الغمة ج ٢ ص ٣٢٢ ونور الأبصار ص ١٤٣ كلاهما عن تفسير الثعلبي، والبحار ج ٤٦ ص ٢٢١ وعن عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٧ ومكارم الأخلاق ص ٩٢ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج ٢ ص ٣٦٤ و ٣٦٨ والوسائل ج ٣ ص ٤١١ وعن مطالب السؤل ص ٨٠.

الجهر بالنص على أن الإمامة والوصاية لأمر المؤمنين والأئمة من ولده «عليهم السلام».

الأمر الذي يعني: أن كل من عداه ممن تصدى ويتصدى لقيادة الأمة، متعد وغاصب.

يضاف إلى ذلك: أنه كان يتختم بخاتم الإمام الحسين «عليه السلام» الذي كان نقشه:

«لا إله إلا الله، عدة للقاء الله»^(١).

وهو خاتم سائر الأئمة «عليهم السلام» قبله..

وبعد ذلك كله، فإن من الواضح: أن الإمام الباقر «عليه السلام» كان يعاصر جبابرة الأمويين، الذين كانوا يفتحون البلاد، ويذلون العباد، ويرون أن أهل البيت «عليهم السلام» قد انتهى أمرهم، وخضدت شكوتهم بزعمهم، ويرون أنفسهم قد بلغوا منتهى درجات المجد والعظمة، ونالوا - بزعمهم أيضاً - كل ما يمكن أن ينال من مظاهر العزة، والشوكة، والقوة.

فمن الطبيعي إذن: أن يثير الإمام «عليه السلام» في مقابل ذلك، الشعار القوي الذي يدين ذلك الفكر المنحرف، ويزلزل كل تلك المفاهيم، ويهزها من الأعماق.

فيكون نقش خاتمه «عليه السلام» تارة: هو نقش خاتم الإمام الحسن «عليه السلام» من ذي قبل، وهو:

«العزة لله»^(٢).

وأخرى: يضيف إليه - ولعله خاتم آخر له - كلمة لها دلالتها الهامة في مقابل جباري الأمويين، وهي كلمة «جميعاً» فصار نقش الخاتم:

(١) أمالي الصدوق ص ١٢٨ والبحار ج ٤٣ ص ٢٤٧/٢٤٨ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٧.

(٢) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والبحار ج ٤٦ ص ٢٢٢/٢٢٣ والوسائل ج ٣ ص ٤٠٨/٤٠٩ ومكارم الأخلاق ص ٨٩.

«العزة لله جميعاً»^(١).

فليتأمل في كلمة «جميعاً» في ظروف وأجواء كهذه.

وثالثة: يكون نقش خاتمه «عليه السلام»:

«القوة لله جميعاً»^(٢).

وإذا كان لا بد من مواصلة المسيرة بمزيد من الإصرار، وبمزيد من الثقة بنصر الله سبحانه، مهما كانت الظروف، ومهما عظمت التحديات. وإذا كان لابد له من معين ونصير على ذلك.

فإننا نجده «عليه السلام» يتختم بخاتم آخر، يكون نقشه:

«رب لا تدركني فرداً»^(٣).

(١) التهذيب للشيخ الطوسي ج ١ ص ٣٢ والاستبصار ج ١ ص ٤٨ وقرب الإسناد ص ٧٢ والبحار ج ٤٦ ص ٢٢٣ والوسائل ج ١ ص ٢٣٤ وسنن البيهقي ج ٤ ص ١٤٣.

(٢) حلية الأولياء ج ٣ ص ١٨٦ وتاريخ جرجان ص ٤١٩ وهامش البحار ج ٤٦ ص ٤٢٣ ويحتمل أن تكون كلمة «القوة» تصحيف كلمة:

«العزة» لتقاربها في الرسم، فلا يبقى فرق بينه وبين سابقه.

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٩٧ ونور الأبصار ص ١٤٣.

٨ - الإمام الصادق x

لقد عاش الإمام الصادق «عليه السلام» في عهد ضعف الأمويين نسبياً، وانشغالهم بحروب الخوارج وغيرهم: تلك الحروب هدتهم، وزعزعت الثابت من أركان حكمهم.

وعايش أيضاً: إنطلاقة الدعوة العباسية، التي استطاعت ثل العرش الأموي، المتهاوي وقضت عليه، وحطمت نهائياً، حيث تربع العباسيون على سدة الحكم والسلطان، وأخذوا في تثبيت قواعد حكمهم وتدعيمها بكل ما يقدرون عليه.

ثم لما اشتد ساعدتهم، وقويت شوكتهم، عدوا على أبناء عمهم أئمة أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم، يوسعونهم قتلاً وعسفاً وتشريداً، لأنهم رأوا فيهم خطراً يتهدد وجودهم في الحكم، أو يحد من فعالية هذا الوجود فيه.

وبعد هذا.. فإن توضيح نقوش الخواتيم المختلفة التي كان يتختم بها الإمام الصادق «عليه السلام» في الأحوال المختلفة، يمكن أن يكون على النحو التالي:

ألف - لقد عاصر الإمام الصادق «عليه السلام» فترة ضعف الأمويين، وأقول نجمهم، وفترة نشوء الدولة العباسية، التي كانت في بداياتها تعاني من الضعف والاهتزاز أيضاً.

أي أن أولئك كانوا قد ضعفوا، وهؤلاء لم يقووا بعد.
من أجل ذلك نلاحظ: أنه «عليه السلام» لا يتختم آنئذٍ بالخاتم الذي كان نقشه:

«العزة لله».

أو «العزة لله جميعاً».

وإنما يتوجه اهتمامه إلى مواصلة التذكير بجريمة الأمويين النكراء، بحق خامس أصحاب الكساء «عليهم السلام»؛ لإعطاء المثل الحي للأمة، كل الأمة. ومواصلة الإعلان: بأنه إذا كان الحاكم لا يرجع إلى دين، ولا ينتهي إلى وجدان، فإنه يكون أشرس المخلوقات وأخزاهاء، ويكون على استعداد للإقدام على كل جريمة، وارتكاب كل عزيمة في سبيل أغراضه الشخصية، ومآربه وغاياته اللاإنسانية.. وأن الأمة، كل الأمة لتتحمل وزر السماح لأمثال هؤلاء بالتحكم بمقدراتها، والتسلط على الأمور فيها.

ولعل ذلك: هو بعض ما يرمي إليه «عليه السلام» من تختمه بخاتم جده الإمام الحسين «عليه السلام»، المنقوش عليه: «لا إله إلا الله عدة للقاء الله»^(١).

وأما لماذا لم يتختم بخاتمته الآخر، المنقوش عليه: «إن الله بالغ أمره».

فلعله من أجل أن الأوضاع السياسية المتقلبة، التي تعاني منها الأمة، تحتاج للمزيد من الربط بالله، والتأكيد على وحدانيته سبحانه. ليفهم الناس أن هذا التوحيد الخالص هو الذي من شأنه أن يحدد الموقف الصحيح والسليم، الذي يهب الحياة الحقيقية بأسمى معانيها للناس، كل الناس.

وما دام الناس مبتعدين عن هذا المعنى، فإن عليهم أن يتحملوا مرارة الإنحراف الذي يساهمون هم أنفسهم، في إيجاده، أو على الأقل في قوته واستمراره.

ب - وبعد كل ذلك: فإن تحولات الأمور في غير صالح الحكم

(١) أمالي الصدوق ص ١١٦ وراجع ص ١٢٨ والبحار ج ٤٣ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٧.

الأموي في حروبه مع الخوارج وغيرهم.. ثم رفع العباسيين شعارات الأخذ بثارات العلويين، والدعوة للرضا من آل محمد «صلى الله عليه وآله»، ودراسة الأمور دراسة موضوعية - إن ذلك كله - يعطي: أن الأمور تتجه، إلى تغيرات عميقة، وتحولات هامة، على الصعيد السياسي، والفكري، والاجتماعي، وغير ذلك.

ولكنها على أي حال: - تحولات - لم تكن لصالح أهل البيت «عليهم السلام»، الذين يمثلون القيادة الإلهية الحقيقية والواعية للأمة.. وإن توهم الكثيرون ذلك.

وأما هذا التوجه الظاهري من قبل الناس نحو أهل البيت «عليهم السلام»، فلا يمكن أن يمثل قوة يصح الإعتماد عليها، للقيام بحركة إصلاحية تهدف إلى تصحيح الأوضاع جذرياً، لصالح الدين والأمة، لأنها لم تكن ناشئة عن وعي عقائدي مركز، وإنما كانت عواطف صادقة أحياناً، وغير صادقة أحياناً أخرى؛ لاستنادها إلى خلفيات ذات طابع شخصي أو قبلي، أو غير ذلك.

فهي إذن: لا تقوى على مواجهة التحدي المبدئي والعقدي، إن لم نقل: إنها سوف ترتد لمواجهة التحدي بمثله، ولتجهض من ثم كل الجهود، ويزوي الأمل، وتجف المنى.

فهذه القوة الظاهرية إذن: ليست هي القوة التي يمكنهم الإعتماد عليها، والإستناد إليها. لأنها ليست مستندة إلى الله سبحانه، ومن الواضح أنه:

«لا قوة إلا بالله».

ج - وقد كانت هذه الظروف زاخرة بالمغريات، غنية بما يذكر الطموح للدخول في حمأة السياسة، ولاسيما مع وجود كثير من العروض السياسية - من قبل دعاة العباسيين، وإغراءاتهم - التي فرضتها أسباب قاهرة فرضت نفسها، أوضحنا جانباً منها في كتابنا: «الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام»، فكان لابد للإنسان

الواعي، الذي يحمل هم الإسلام من أن يكبح جماح طموحاته ما دام أنه يعلم: أنها لن تنتهي إلى ما ينفع الإسلام والإنسان، يكبحها باللجوء إلى الله، وطلب المغفرة منه سبحانه..

ومن خلال ذلك كله: ندرك بعمق مغزى كون نقش خاتمه عليه الصلاة والسلام، العبارات الثلاث التالية:

«ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، استغفر الله»^(١).

وأن يكون نقش الخاتم الآخر - على الظاهر - :

«الله خالق كل شيء»^(٢).

د - هذا.. وقد كان لا بد للإمام الصادق «عليه السلام» من أن يواصل المسيرة، وأن يستمر في تحمل أعباء نشر الإسلام، وتعليم الناس الأحكام، وها هو الآن قد سنحت له الفرصة أكثر من غيره من الأئمة «عليهم السلام»، وذلك بسبب ضعف الدولتين اللتين عاصرهما وعانين فترة الأفول والنشوء لهما..

فمن الطبيعي: أن يدعو الله سبحانه، الذي هو ثقته وملجؤه في المهمات: أن يسهل له هذه المهمة، وأن يقيه شر الأعداء، فيكون نقش خاتمه:

«رب يسر لي، أنت ثقتي، فقتي شر خلقك»^(٣).

هـ - وإذا كان لا بد من رفض ولاية الطاغوت، والالتزام فقط بولاية الله سبحانه وتعالى، وإذا كان العباسيون بعد أن وصلوا إلى الحكم، وقضوا على الأمويين، وأحكموا أمورهم، وثبتوا قواعد

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٠٩ وكشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ٣٧٠ ونور الأبصار ص ١٤٥ والبحار ج ٤٧ ص ١٠.

(٢) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والوسائل ج ٣ ص ٤٠٨ والبحار ج ٤٧ ص ١٠ عن مصباح الكفعمي ص ٥٢٢.

(٣) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٦٥.

ملكهم قد تفرغوا لأبناء عمهم آل علي «عليه السلام» ولشيعتهم، وكان همهم مصروفاً للتخلص منهم، فكان أن تعرض حتى الإمام الصادق «عليه السلام»، لكثير من المضايقات والتهديدات والمحاولات الجادة من قبل المنصور العباسي للتخلص منه حتى جسدياً، وهو ما نجح به أخيراً.

فإننا نجد: أن نقش خاتمه قد جاء منسجماً مع ذلك كله، وهو:

«الله وليي، وهو عصمتي من خلقه»^(١).

وفي بعض النصوص:

«اللهم أنت ثقتي، فقتي شر خلقك»، أو ما بمعناه^(٢).

٩ - الإمام الكاظم x

وعن الإمام موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه نقول:

ألف - لقد عاش الإمام الكاظم «عليه السلام» في فترة شعور العباسيين باستقرار ملكهم، وثبات سلطانهم. وقد بدأ هذا الشعور بالتبلور في النصف الثاني من خلافة المنصور، أي بعد قضائه على حركة بني الحسن، ونقله عاصمة الخلافة إلى مدينة بغداد، وغير ذلك من إجراءات، جعلته يطمئن نسبياً إلى مستقبل العباسيين في

(١) راجع مصادر الحديث الجامع المتقدم عن الإمام الرضا «عليه السلام»

في أوائل هذا البحث، بالإضافة إلى البحار ج ٤٧ ص ٨.

(٢) البحار ج ٤٧ ص ١٠ و ١١ عن العدد وغيره ومكارم الأخلاق ص ٨٩

و ٩١ والكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والوسائل ج ٣ ص ٤١٠ ومسند الإمام الرضا ج ٢ ص ٣٦٣ وتاريخ جرجان ص ٤١٨ و ٤١٩.

الحكم.

ثم أكمل ولده المهدي المهمة التي كان بدأها أبوه، وهي القضاء على خصوم الحكم، تحت شعار الإتهام بالزندقة، وغير ذلك من شعارات. وجاء بعده الهادي العباسي أيضاً، الذي تمكن من إخماد ثورة الحسين بن علي صاحب فخ رضوان الله تعالى عليه.. إلى غير ذلك من أمور لا مجال لتتبعها الآن.

فما أشبه الحالة والظرف الآن بتلك الحالة والظرف الذي مر به أمير المؤمنين «عليه السلام» في الفترة التي تلت وفاة النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» مباشرة، حيث اتخذ ذلك الحكم الناشئ الذي اغتصب منه مقام الخلافة الكثير من الإجراءات التي جعلته يطمئن إلى ثباته واستقراره.

ولعل الظروف التي مر بها أمير المؤمنين «عليه السلام»، مع الحكم الأموي إبان نشوئه، وتمكنهم نسبياً من الأمر.. لا تختلف عن ذلك كثيراً أيضاً.

وذلك كله: قد يفسر لنا سرّاً تختم الإمام الكاظم عليه الصلاة والسلام بخاتم جده أمير المؤمنين «عليه السلام»، المنقوش عليه عبارة:

«الملك لله»

أو «الله الملك»^(١).

ب - ثم تأتي خلافة الرشيد العباسي، الذي كان يستلقي على قفاه وينظر إلى السحابة الحاملة للمطر، ويقول:

«إذهبي إلى حيث شئت يأتيني خراجك»^(١).

(١) راجع: البحار ج ٦٢ ص ٦٩ و ٧٠ و ج ١٦ ص ١٢٢ وثواب الاعمال ص ٢٠٩ و ٢١٠ والكافي ج ٦ ص ٤٧٢ ومكارم الأخلاق ص ٨٩ والوسائل ج ٣ ص ٤٠٥.

وهي كلمة تعبر عن مزيد من الاعتزاز بسعة الملك والسلطان.. نعم.. لقد أتت خلافة الرشيد، ومعها المزيد من مظاهر الترف والبذخ، وحياة النعيم والراحة.. والإطمئنان إلى المستقبل.

ولا شك: في أن هذا الشعور كان قد بلغ مداه، حينما استطاع الحكم أن يحاصر أهل البيت «عليهم السلام»، ويحدّ من نشاطهم بما اتخذه من إجراءات قمعية ضدهم، وضد سيدهم وعظيمهم الإمام الكاظم «عليه السلام».

وهذا ما يوضح لنا: السر في أن الإمام الكاظم «عليه السلام»، في مجال مواجهة ذلك الشعور، ومقاومته وترسيم الخط الصحيح والسليم للأمة، لا يألو جهداً، ولا يدخر وسعاً، في الإعلان بمواقفه الرسالية بإطلاق الشعار الواقعي والصحيح في كل فرصة، وكل مناسبة.

خصوصاً بالنسبة لنظرته للحكم والحاكمين، حتى إن نقش خاتمه «عليه السلام» يكون هو نفس النقش السابق، بزيادة كلمة واحدة، ليصير:

«الملك لله وحده»^(٢).

ج - ثم إنه «عليه السلام» يواجهه هو وشيعته طغيان العباسيين وبغيهم، ويقضي السنوات الطوال في غياهب السجون، ويتحمل المزيد من المصائب والآلام منهم، حتى ينتهي الأمر باستشهاده «عليه السلام»، بتصميم وبأمر من الرجل الأول فيهم على أيدي جلاديهم الأشرار.

كما أنه «عليه السلام» يجد الناس الذين يعاصرونه: إما

(١) مآثر الإنافة ج ١ ص ١٩٤.

(٢) راجع: البحار ج ٤٨ ص ١١ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢١٨

ونور الأبصار ص ١٤٨ وحياة الإمام موسى بن جعفر للقرشي ج ١ ص ٤٨ عن أخبار الدول ص ١١٢.

منصرفين عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، أو أن موقفهم يتسم بالضعف، واللامبالاة، وبالخنوع والخضوع لحكام الجور، والإطمئنان للحياة الدنيا، ويروقهم زخرفها وزبرجها، ولا يعيشون قضاياهم المصيرية الحساسة، التي هي قضايا الدين والأمة، فمن أجل ذلك كله: نجد أن نقش خاتمه «عليه السلام» هو:

«حسبي الله»،

وفيه وردة وهلال في أعلاه^(١).

ولعل الوردية تشير: إلى التفتح الثقافي، الذي بدأ يظهر في قطاعات واسعة من الأمة، ويحمل النشر الطيب للمعاني الإسلامية السامية.

أما الهلال، فلهذه يشير: إلى الأمل بولادة النور من جديد، وانبثاق تياره العارم على شكل دائري مستوعب في مسيرته التكاملية إلى أن يصير بدرأ، حينما يبلغ الأربعة عشر، على عدد المعصومين الأربعة عشر، الذين آخرهم المهدي الموعود، «الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعدما ملأت ظلماً وجوراً».

ويلاحظ هنا: أن أول من اتخذ الهلال شعاراً هو النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

فقد روى العسقلاني، في ترجمة سعد بن مالك بن الأزدي، قال: «قال ابن يونس: وفد على النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وعقد له راية على قومه سوداء، فيها هلال أبيض، وشهد فتح مصر الخ.»^(٢).

(١) راجع الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ ومكارم الأخلاق ص ٩٠ و ٩٢ والبحار ج ٤٨ ص ١٠ والوسائل ج ٣ ص ٤١٠ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج ٢ ص ٣٦٣.

(٢) الإصابة ج ٢ ص ٣٢ والترتيب الإدارية ج ١ ص ٣٢٠.

فدعوى البعض: أن العثمانيين قد أخذوا رسم صورة الهلال علامة رسمية من القياصرة. وأصله من «فيلبش» والد الإسكندر المقدوني الأكبر^(١)، دعوى غير صحيحة، ولا مقبولة.

(١) راجع: التراتيب الإدارية ج ١ ص ٣٢٠ عن وفيات الأسلاف ص ٣٨٠.

١٠ - الإمام الرضا x

وأما فيما يتعلق بنقش الخاتم الذي كان الإمام الرضا «عليه السلام» يتختم به، فنقول:

ألف - لقد عاش «عليه السلام» منذ وفاة أبيه «عليه السلام» في ظروف مأساوية، لا تختلف كثيراً عن ظروف أبيه الإمام الكاظم عليه الصلاة والسلام. الذي كان قد شاركه في الأمة، وفي همومه ، وفي شطر كبير من نشاطه، وإنجاز ما يحتاج إلى إنجاز مما فيه صلاح الدين والدنيا لأهل الإيمان.

وقد اختص هو «عليه السلام» بالآم ومتاعب جمّة، لم تكن في مرارتها بأقل أثراً مما سبقها، ولأجل ذلك نجده «عليه السلام» يتختم بخاتم أبيه، الذي يشير: إلى هذه الآلام، وتلك المتاعب، وهو نفسه «عليه السلام» يعلن ذلك، ويلفت النظر إليه، فيقول: «كان نقش خاتم أبي:

«حسبي الله»،

وهو الذي كنت اتختم به»^(١).

ب - وقد بلغت هذه الآلام ذروتها في عهد المأمون العباسي،

(١) راجع: مصادر الحديث الجامع المتقدم في أوائل هذا البحث عن الإمام الرضا x بالاضافة إلى: الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ والبحار ج ٤٨ ص ١١ وج ٤٩ ص ٩ والوسائل ج ٣ ص ٤١٠ ومسند الإمام الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٣٦٣ ونور الأبصار ص ١٥٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٤٣٠.

حتى لقد روي: أن الإمام الرضا «عليه السلام»، كان إذا رجع من صلاة الجمعة يدعو على نفسه بالموت، ليتخلص مما هو فيه^(١).

وهذا: أن حياة الإمام «عليه السلام» مع المأمون كانت حياة غربة، وألم ومرارة، إلى حد أن الموت كان أهون عليه من تحملها. وإن كانت الأحوال في ظواهرها الساذجة تشير للبسطاء والسذج من الناس إلى عكس ذلك.

ونستطيع أن نشبه هذه الفترة من الزمن، من حيث أوضاعها، وظواهرها السياسية بالفترة التي عاشها الإمام الصادق «عليه السلام»، وهو يعيش التحولات الخطيرة التي كانت تتعرض لها الأمة، والتي كان يعرف أنها سيكون لها تأثير هام وحاسم على مستقبلها بصورة عامة. وذلك لأن المأمون العباسي - حسبما أوضحناه في مجال آخر^(٢) - قد كان يعاني من ظروف شبيهة بظروف الأمويين في أواخر أيامهم.

حتى لقد وجد المأمون نفسه مضطراً للإستعانة بغير العرب لمواجهة أخيه الأمين بالحرب الضروس، التي انتهت بقتله أخاه، وهو الأمر الذي نشأ عنه إضعاف مركزه بين الناس عموماً، ثم تسبب بوضع كثير من علامات الإستفهام على حقيقة نواياه وأهدافه. **كما أنه كان من جهة أخرى يلاحظ:** أن التعاطف مع آل علي «عليه السلام» يزداد قوة واتساعاً يوماً بعد يوم.

إلى غير ذلك: من عوامل ومعطيات جعلته بحاجة ماسة إلى البحث عن غطاء معنوي، يدعم به مركزه، ويحفظ بواسطته موقعه واستمراره في الحكم.

فإذا كانت الأجواء هي هذه. وإذا كان التعاطف مع العلويين قد

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٥ والبحار ج ٤٩ ص ١٤٠
وراجع الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام ص ٣٢٥ و ٣٤٦.

(٢) راجع: كتابنا الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام.

أصبح يبدو وكأنه يشكل تياراً عارماً، يمكن أن يزعزع الكثير من الثوابت، وقد يحرك الساحة باتجاه آخر أكثر انسجاماً مع الرغبات والميول.

وإذا كانت المغريات تزداد كثرة وجاذبية يوماً بعد يوم، حتى ليخيل للإنسان: أن الفرصة مواتية لتحرك من نوع ما - لوجود القوة الكافية والصالحة للاعتماد عليها في انطلاقة واستمرارية الحركة نحو التغيير الشامل.

وإذا كانت الإغراءات والعروض، وحتى الضغوط المأمونية عليه للقبول بالخلافة تارة، وبولاية العهد أخرى، قد بدأت تلوح في الأفق القريب.

وإذا كان الإمام «عليه السلام» يعلم حقيقة نوايا وأهداف المأمون من ذلك، خصوصاً بعد أن بلغت درجة الإصرار عليه حد التهديد بالقتل، الأمر الذي يحمل معه مؤشرات واضحة على حجم المؤامرة، وأن المستهدف بها هو قضية الإمامة، حيث يراد تكريس الأمور باتجاه إلغائها، وإسقاط دورها، وحفظ حكم الجبارين على حساب أهل البيت «عليهم السلام»، وعلى حساب الإسلام كله.

وإذا أردنا: أن نكون أكثر تحديداً في عرضنا لحقيقة الظروف التي كانت تفرض نفسها آنئذٍ، فإننا نقول:

لقد سنحت الفرصة للإمام الباقر والصادق «عليهما السلام»، ليقوموا بدورهم الطليعي في تربية الطليعة المثقفة والواعية في الأمة، حتى يمكن القول: إن هذه الطليعة هي التي كانت تمثل التيار العام، الذي يهيمن - تقريباً - على مختلف قطاعاتها، وقد استمر الحال على هذا المنوال، حتى عهد الإمام الرضا «عليه السلام».

وقد كان لهذا الأمر: أثر لا ينكر في التكوين الفكري والعاطفي في الناس عموماً. ولكنه أثر لم يتعد بعده العاطفي، والفكري الجاف،

ولم يصل إلى درجة التكون العقيدي الراسخ، الذي من شأنه أن يجعل الفكر الحي يتفاعل مع العاطفة الصادقة في داخل الإنسان، ليكون وجداناً حياً يستطيع أن يتحول إلى موقف رسالي على صعيد الحركة والعمل.

وعلى هذا.. فلم يكن يمكن الإعتماد على هذا الوعي، ولا على تلك العاطفة، في القيام بحركة تغييرية جذرية وحاسمة، ولا سيما بملاحظة ما كان يهيمن على الناس عموماً من ميل قوي للراحة وللحياة الدنيا، ومن استسلام لحياة الترف واللذة، التي تستتبع الضعف والركود، والخوف من الإقدام على أية حركة تغييرية، تستهدف المساس بما ألفوه واعتادوه.

ولو فرض: أنهم في غمرة هيجانهم العاطفي نجحوا في حسم الموقف لصالح الإتجاه الآخر؛ فإن رصيذاً فكرياً وعاطفياً - كهذا - إذا فقد البعد العقيدي، ولم يكن فيه فناء وجداني - لن يكون قادراً على حماية استمرارية الحركة بسلامة وصفاء، ولا على تحمل مسؤولياتها التغييرية التي سوف تستهدف جزءاً كبيراً من واقعهم ومن أنفسهم.

بل سوف ترتد هذه الحركة على نفسها لتأكل أبنائها، وتنقض مبادئها، وتستأصل نبضات الحياة فيها. لأن العاطفة سيخبو وهجها. ما دام لم يعد ثمة ما يثيرها و يؤججها. وسيصبح الفكر ركاماً جافاً وخامداً، حينما تهب عليه ريح المصالح والأهواء والشهوات؛ لتجعل منه هشيماً تذروه الرياح، إن لم تتمكن من استخدامه وقوداً لها، يعمل على استصلاحها، وتوجيهها، ويهيئ الفرصة للإستفادة منها على النحو الأكمل والأتم في ذلك الإتجاه .

هذا كله.. لو أمكن أن تصل الحركة إلى درجة الحسم لصالح الإتجاه الآخر.. ولكنه فرض بعيد، وبعيد جداً، كما أثبتته التجارب المتكررة في أكثر من قرن من الزمن.

حيث رأينا بوضوح: كيف فشلت الحركات الزيدية الكثيرة جداً، وكيف سهل على الحكام القضاء عليها، حتى أصبحت في خبر كان، وكأن شيئاً لم يحدث، رغم سعة نفوذ الزيدية على مختلف الأصعدة، وفي مختلف المجالات، ورغم سيطرتهم التامة آنئذٍ على الأمور، سياسياً، وإعلامياً، وثقافياً، وعاطفياً، وغير ذلك. كما أوضحناه في كتابنا: «الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام».

وما ذلك.. إلا لأن حركات الزيدية قد كانت حركات سياسية بالدرجة الأولى، ولم يكن لها أصالة فكرية وعقائدية راسخة، تنطلق من الروح، وتتبع من الوجدان، بل كانت تعتمد على ذلك المد العاطفي الهائل، وعلى ذلك الوعي الثقافي الجاف الذي لم يصل إلى حد مزج العاطفة بالفكر، وامتزاج الفكر بالوجدان، لينتج موقفاً رسالياً، تخاض من أجله اللجج، وتبذل دونه المهج. بل كان يجد من العراquil والمعوقات النابعة من داخل أنفسهم، ما يجعل الإعتدال عليه اعتماداً على سراب.

وذلك هو ما يفسر لنا: كيف أنه حين كان الناس يواجهون الأمور بجديّة، ويبلغ وذلك حين يبلغ السيل الزبي والحزام الطيبين، ثم لا تعود الأمور إلى مجاريها يعودون إلى دنياهم، ويركنون إلى حياة السلامة والدعة، حسب تصورهم انسجاماً مع هوى نفوسهم. ولا يهتمهم ما يحصل بعد ذلك، ولا ماذا تكون النتائج.

فلم يكن للأئمة «عليهم السلام» - والحالة هذه - : الحق في أن يقدموا على المجازفة بأرواح الناس، في ظروف كهذه، لأن معنى ذلك: هو أن ينتهي أمرهم، وبسهولة ويسر، تماماً إلى ما آل إليه الزيدية وأضرابهم.

وبعد ذلك كله.. فانه إذا كان الإمام «عليه السلام» يشرف على ذلك كله، وإذا كان يتعامل مع ذاك الواقع بثقة ومسؤولية، وبرسالية

القائد الفذ، والإمام الشاهد.

فلا غرو إذا رأيناه يسجل ذلك كله، ويلمح إلى نتائجه ومعطياته بكلمتين، وبكلمتين فقط، فيكون نقش خاتمه «عليه السلام»: «ما شاء الله، لا قوة إلا بالله»^(١).

وهذا هو نفس ما كان مكتوباً على خاتم الإمام الصادق «عليه السلام» تقريباً.

نعم.. وإن هاتين الكلمتين لتتسجمان كل الإنسجام مع واقع المأمون وطموحاته، وكذلك مع الواقع الذي يعيشه الإمام ومسؤولياته، ثم.. وأخيراً.. مع ظروف الأمة ومقدراتها، على جميع الأصعدة، وفي مختلف المجالات..

ويلاحظ: أن هذه الفترة قد بدت وكأنها فترة انفراج نسبي، بالنسبة لأهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم، حيث لم يعد الحكم بصدد التعرض بالإساءة لأهل البيت «عليهم السلام»، وإلى شيعتهم بشكل علني وسافر، وإنما هو يتظاهر بالمحبة والولاء لهم، وبمزيد من مظاهر التقدير والإكرام والحفاوة للرجل الأول فيهم، وإن كان يبغي له ولهم الغوائل في الباطن، ويعمل بشتى الطرق ومختلف الأساليب لاستئصال شأفتهم، واقتلاع كل جذورهم.

ولأجل ذلك.. فإننا لا نجد في هذه الفترة من حياة الإمام الرضا «عليه السلام»، و حياة الإمام الجواد «عليه السلام» من بعده حديثاً قوياً منهم «عليهم السلام» عما يتعرضون له هم وشيعتهم من محن وآلام، لأن التذكير بهذا الأمر لن يكون مفهوماً للناس، وحتى قد لا يكون مقبولاً أيضاً.

ولكننا نجدهم «عليهم السلام»: يرفعون الشعار الآخر المتقدم آنفاً، للإشارة إلى أن المشيئة لله سبحانه، وبه وله القوة والقدرة، فلا

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٧٣ و ٤٧٤ والوسائل ج ٣ ص ٤١٠ والبحار ج ٤٩ ص ٢ ومسنَد الإمام الرضا «عليه السلام» ج ٢ ص ٣٦٣.

يجب أن يغتر أحد بما يراه من مظاهر خادعة، بل عليه أن يتعامل مع الأمور بوعي وبعق، وبعد نظر، وبمسؤولية، حسبما تقدمت الإشارة إليه.

١١ - الإمام الجواد x

هذا.. وبعد أن تمكن المأمون من تغيير مجريات الأمور لصالحه، ولصالح تثبيت دعائم الحكم العباسي، عن طريق إجبار الإمام الرضا «عليه السلام» بقبول ولاية العهد، وبيعة الناس له «عليه السلام» بها.. ثم تمكنه من التخلص من الإمام «عليه السلام» بدس السم إليه.

وبعد أن أخدمت الثورات، وخنقت جميع الأصوات، وعادت المياه إلى مجاريها بين المأمون وبين بني أبيه العباسيين، فإن من الطبيعي: أن يشعروا (المأمون والعباسيون وأعوانهم): أنهم بخروجهم سالمين من مغامرتهم الخطيرة مع الإمام الرضا «عليه السلام» قد حققوا غاية آمالهم، وحصلوا على أعز وأغلى أمنياتهم، ألا وهي تثبيت دعائم ملكهم، وترسيخ أركان سلطانتهم، حيث لم يعد ثمة أية قوة تستطيع أن تقف في وجه جبروتهم، ومقابل فاحش طغيانهم..

بعد كل ذلك، فإننا نلاحظ: أن نقش خاتم الإمام الجواد «عليه السلام» يتحدى كل تصوراتهم تلك، ويدين جميع مظاهر بغيهم وظلمهم؛ فيكون هو: «نعم القادر الله»^(١).

وهو نفس نقش أحد الخواتيم التي كانت لأmir المؤمنين «عليه السلام» من قبل.

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٥٢ والبحار ج ٥٠ ص ١٥.

١٢ - الإمام الهادي x

ألف - أما بالنسبة لنقش خاتم الإمام الهادي «عليه السلام» فنلاحظ ما يلي:

إنه «عليه السلام» كان يعيش في زمن ارتدت فيه عادية العباسيين على أهل البيت «عليهم السلام» بشكل علني وسافر.. وذلك في زمن عادت فيه الشوكة لأهل الحديث، المعروفين بنصيبهم وعداوتهم لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وأهل بيته الأطهار عليهم الصلاة والسلام. حيث ضعف أمر المعتزلة، وتلاشت قوتهم وعادت الشوكة لخصومهم من أهل الحديث الذين بدأ أمرهم يتنامى، حتى بلغ ذروته بعد ظهور المتوكل العباسي، الذي كان من أشد الناس نصباً وعداءً لعلي وأهل بيته «عليهم السلام».

وكان أحمد بن حنبل هو الإمام لأهل الحديث في اعتقاداتهم في زمانه، وقد كان هناك انسجام تام بين المتوكل وبين ابن حنبل. ويطمئن العباسيون من جديد إلى قوتهم، وإلى ثبات أقدامهم بعد أن قضوا على المعتزلة، ولكنهم يدركون أن الخطر الحقيقي إنما يتهددهم من قبل أهل البيت «عليهم السلام»، فيوجهون كل اهتماماتهم إلى مضايقة الأئمة الأطهار «عليهم السلام»، واضطهاد شيعتهم الأبرار «رضوان الله عليهم»، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

فكانت هذه الفترة شبيهة إلى حد ما في تقلباتها وتحولاتها، من حيث انتقال القدرة من فريق إلى فريق، ثم اطمئنان هذا الفريق إلى مستقبله في الحكم، وتوجهه للأئمة «عليهم السلام» ليقضي على نبضات الحياة في حركاتهم وفي مواقفهم، معتبراً أنهم هم مصدر

الخطر الحقيقي الذي يتهدد حكمه، واستمراره فيه - لقد كانت شبيهة إلى حد كبير ببعض مراحل حياة الإمام الصادق «عليه السلام» - وهي المرحلة التي عاشها مع المنصور العباسي.

فيتعرض الإمام الهادي «عليه السلام» للإقامة الجبرية، ولمختلف أنواع الكيد والمكر، بهدف القضاء على كيانه، وعلى حياته ووجوده، فقد كان المتوكل يكرم الإمام الهادي «عليه السلام» في ظاهر الحال، ويبغي له الغوائل في باطن الأمر، على ما صرح به ابن الصباغ المالكي، وغيره^(١).

إن.. فطبيعي: أن يكون نقش خاتمه «عليه السلام» في ظروف كهذه هو:

«الله ربي، وهو عصمتي من خلقه»^(٢).

وهو نفس نقش خاتم الإمام الصادق «عليه السلام»، حسبما تقدم..

ب - ومن جهة أخرى.. فقد بدأت مرحلة جديدة، لابد من التعامل معها برؤية جديدة، وهي التمهيد والأعداد النفسي للأمة لمواجهة حدث الغيبة للإمام الثاني عشر «عليه السلام»، الذي كانت المؤشرات كلها تجمع على أنه لن يتمكن من مواصلة المسيرة بشكل علني.

هذه المرحلة التي يمكن أن تعتبر إمامة الإمام الجواد «عليه السلام»، وهو صغير، واحدة وكذلك إمامة الإمام الهادي «عليه السلام»، وهو صغير أيضاً، من مقدماتها القريبة، التي تساعد على فهم بعض جوانبها الهامة جداً..

وفي ظروف كهذه: لابد من تذكير الأمة المؤمنة: بأن عليها أن

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٢٦ والإرشاد للمفيد ص ٣١٤ والبحار ج ٥٠ ص ٢٦٣.

(٢) الفصول المهمة ص ٢٦٣ والبحار ج ٥٠ ص ١١٦/١١٧.

تحفظ الخط، وأن تلتزم وتقي بما أخذته على نفسها من التسليم والتصديق، والأنقياد لأوامره سبحانه وتعالى، ولقضائه ومشيتته، فلا تأخذهم حيرة الضلالة، ولا يستسلموا لتهويشات الآخرين وتشنيعاتهم، التي لا تستند إلى ركن علمي أو عقلي وثيق..

وإن عليهم كذلك: أن لا يذوبوا في الجو العام، ولا يركنوا إلى الدنيا وزخرفها، ولا يستسلموا لأهوائهم ولمصالحهم الآنية على حساب مصلحة الإسلام العليا، وقضيته الكبرى..

بل إن عليهم: أن يحفظوا النبي محمداً «صلى الله عليه وآله» في عترته، وفي دينه وقرآنه، كما أن عليهم أن يتخلقوا بأخلاق الله سبحانه، فإن: «**حفظ اليهود من أخلاق المعبود**» كما جاء في نقش خاتم الإمام الهادي عليه الصلاة والسلام^(١).

(١) البحار ج ٥٠ ص ١١٧ عن مصباح الكفعمي.

١٣ - الإمام العسكري x

وقد كان لابد للإمام العسكري «عليه السلام» من أن يعلن لهم بشكل صريح وواضح:

أن الإمام بعده لن يكون حاضراً بينهم، وأن عليهم أن يعدوا أنفسهم لمواجهة حالة كهذه، وأن يجعلوا نصب أعينهم حقيقة: أن غيبته «عليه السلام» لا تعني أن كل شيء قد انتهى، وذلك لأن الله هو الرقيب، وهو الشهيد عليهم، على حد قوله تعالى، حكاية عن عيسى «عليه السلام»:

(..مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)^(١).

والآيات التي تتضمن شهادة الله والأنبياء وغيرهم، على الناس كثيرة^(٢).

نعم.. ويأتي نقش خاتم الإمام الحسن العسكري «عليه السلام» ليؤكد هذه الحقيقة، ويتعامل معها، وهو: «أنا الله شهيد»^(٣).

كما أن ما ورد في نص آخر، قد جاء منسجماً أيضاً مع هذه الحقيقة تمام الإنسجام، حيث ذكر: أن نقش خاتمه «عليه السلام» هو:

(١) الآية ١١٧ من سورة المائدة.

(٢) راجع «المعجم المفهرس» مادة شهد.

(٣) البحار ج ٥٠ ص ٢٣٨ عن مصباح الكفعمي.

«سبحان من له مقاليد السموات والأرض»^(١).

(١) الفصول المهمة ص ٢٧٠ والبحار ج ٥٠ ص ٢٣٨.

١٤ - الإمام المهدي x

وأما نقش خاتم الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وجعلنا من أنصاره وأعوانه، والمستشهادين بين يديه، فلم أظفر إلا بما ورد في الجدول الذي ذكره الكفعمي في المصباح^(١) وهو قوله: «أنا حجة الله، وخاصته».

وهذا المعنى هو الذي ينسجم مع الظروف والحالات والأوضاع التي استجدت، حيث بيّن «عليه السلام» أن على الناس أن يلتفتوا إلى ما تحكم به عقولهم من ضرورة وجود الإمام والحجة، الأمر الذي يشير إلى: أن غيبته «عليه السلام» لا تعني أنه غير موجود من الأساس، وأن هذه الغيبة لا تمنعه من إقامة الحجة على الناس، فإن لكل حالة وسائلها وأدواتها التي تناسبها.

كما أن هذه الغيبة لا تسقط المسؤولية عن الناس في لزوم البحث عنه والإرتباط به، والتعامل معه، وفقاً للظروف المستجدة..
يضاف إلى ذلك: أن كونه حجة الله تعالى، يفرض على الناس أن يقوموا بواجبهم تجاه من هو حجة فيهم وعليهم.

هذا بالنسبة إلى علاقة الناس به «عليه السلام»، في زمن الغيبة، وأما عن علاقته بالله تعالى، فقد بيّن أيضاً أنه ليس مجرد مبلغ لأحكامه، ومعلم لشرائعه، بل هو خاصته سبحانه وتعالى، فلا بد أن يرتبط الناس به - بناء على هذه الحقيقة، التي لا بد أن تقرض ارتباطاً روحياً له حالاته الفريدة، وله خصوصياته،

(١) المصباح للكفعمي، ص ٦٩٢ ط سنة ١٤١٤هـ. مؤسسة الأعلمي، بيروت.

ومناحيه، الملائمة له، والحر تكفيه الإشارة.
 نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أنصاره وأعوانه والمستشهادين
 بين يديه، إنه ولي قدير .
 والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين
 الطاهرين.

كلمة ختامية:

وأخيراً.. فقد كانت تلك دراسة تكاد تكون موجزة حول نقوش خواتيم النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة الأطهار عليهم الصلاة والسلام..

ولا أدّعي أنني استطعت استيعاب كل ما يرتبط بهذا الموضوع، فإن ذلك متعذر، بل متعسر في ظروف الحاضرة على الأقل.. ولكن ما لا شك فيه، هو: أن هذا البحث يعتبر بداية مشجعة ومرضية، على طريق الكشف الكامل والوافي عن الظروف والملابسات المحيطة بهذا الموضوع..

وفي الختام.. فإنني أسأل الله تعالى أن يوفقنا لمزيد من العمل الجاد والدائب في سبيل الكشف عن مختلف جوانب حياة الأئمة «عليهم السلام»، والإستفادة منها ما أمكن في حياتنا وفي مواقفنا.. إن شاء الله، إنه خير مأمول، وأكرم مسؤول.. والله هو الموفق والمسدد، وهو المعين والهادي.

جعفر مرتضى العاملى



المصادر والمراجع

- أخبار الدول للقرماني، مطبوع بهامش الكامل في التاريخ، ط أولى ١٣٠١ مصر.
- أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، ط سنة ١٤٠٣ هـ. ق. دار التعارف، بيروت، لبنان.
- أمالي الصدوق للشيخ الصدوق، ط المطبعة الحيدرية، سنة ١٣٨٩ هـ. ق. النجف الأشرف، العراق.
- الأمان من أخطار الزمان لابن طاووس، ط النجف الأشرف، العراق.
- الإرشاد، للشيخ المفيد، ط سنة ١٣٨٢ هـ ، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.
- الإستبصار للطوسي، ط سنة ١٣٧٦ هـ ، النجف الأشرف، العراق.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ط سنة ١٣٢٨ هـ ، مصر.
- بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ط بيروت مؤسسة الوفاء، لبنان.
- البحر الزخار لابن المرتضى، ط سنة ١٣٦٦ هـ .
- البداية والنهاية، لابن كثير، ط سنة ١٩٦٦م مكتبة المعارف - بيروت - لبنان. وط دار إحياء التراث - بيروت - لبنان.
- تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية) ط سنة ١٩٦٦م. مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.
- تاريخ الخميس، للديار بكري، ط سنة ١٣٨٣ هـ. ق، مصر.
- تاريخ جرجان للهيمي، ط سنة ١٣٨٧ هـ. ق. حيدر آباد الركن،

- الهند.
- التراتيب الإدارية، للكتاني، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- تفسير الثعلبي، مخطوط.
- التهذيب، للشيخ الطوسي، ط النجف الأشرف، العراق.
- ثواب الأعمال، للشيخ الصدوق، ط بغداد.
- جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار.
- حلية الأولياء، لأبي نعيم، ط دار الكتاب العربي، ط سنة ١٣٨٧ هـ. بيروت، لبنان.
- حياة الإمام الباقر للقرشي.
- حياة الإمام موسى بن جعفر للقرشي.
- الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» للمؤلف.
- الخصال للصدوق، ط سنة ١٤٠٣ هـ، جماعة المدرسين، قم، إيران.
- دراسات وبحوث في التاريخ و الإسلام، ط مركز جواد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- دعائم الإسلام للقاضي النعمان، ط سنة ١٣٨٣ هـ. ق. دار المعارف، مصر.
- سفينة البحار، للشيخ عباس القمي، ط مؤسسة انتشارات فراهاني، إيران.
- السنن الكبرى، للبيهقي، ط سنة ١٣٤٤ هـ، الهند.
- صبح الاعشى للقلقشندي، ط سنة ١٤٠٧ هـ. ق. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- صحيح البخاري، ط سنة ١٣٠٩ هـ. ق. وط محمد علي صبيح وأولاده، مصر.

- صحيح مسلم، ط سنة ١٣٣٤ هـ. ق. محمد علي صبيح وأولاده، مصر.
- صحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، للمؤلف، ط دار السيرة، بيروت، لبنان. وط جامعة مدرسين، قم، إيران.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد، ط ليدن، وط دار صادر، بيروت، لبنان.
- عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفيناني للمؤلف، ط المركز الإسلامي للدراسات، ١٤٢٤م..
- علل الشرايع، للشيخ الصدوق، ط الحيدرية، سنة ١٣٨٥ هـ. ق. النجف الأشرف، العراق.
- عنوان المعارف في ذكر الخلائق، للصاحب بن عباد، ط سنة ١٣٨٥ هـ. ق. مطبعة الإرشاد، بغداد العراق.
- عيون الأخبار لابن قتيبة، ط سنة ١٣٨٣ هـ. ق. المؤسسة المصرية العامة، مصر.
- عيون أخبار الرضا «عليه السلام» للشيخ الصدوق، ط سنة ١٣٧٧ هـ. ق. قم، إيران.
- الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي.
- قرب الإسناد للميري، ط حجرية.
- الكافي (الأصول) للكليني، دار الكتب الإسلامية، ط سنة ١٣٨٨ هـ ، وط مطبعة الحيدري - طهران - إيران. و(الفروع) مطبعة الحيدري، ط سنة ١٣٧٧ هـ، طهران، إيران.
- كشف الغمة، للإربلي، ط دار الأضواء، بيروت، لبنان. والمطبعة العلمية سنة ١٣٨١ هـ قم، إيران.
- كشف القناع عن حجية الإجماع للمحقق الكاظمي، ط سنة ١٣١٦ هـ. ق. ط حجرية.
- مآثر الإنافة للفلقشندي، ط سنة ١٩٦٤م. الكويت.

-
- مختصر التاريخ لابن الكازروني، ط سنة ١٣٩٠ هـ. ق. مطبعة الحكومة، بغداد، العراق.
 - مسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي، ط سنة ١٤٠٦، مشهد، إيران.
 - مصباح الكفعمي، ط حجرية.
 - مطالب السؤل لابن طلحة.
 - معجم المفهرس لأفاظ القرآن الكريم.
 - مكارم الأخلاق للطبرسي.
 - مناقب لابن شهر آشوب، ط المصطفوي، المطبعة العلمية، قم، إيران.
 - نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، بشرح عبده، ط الاستقامة، بمصر، وط دار المعرفة، بيروت.
 - نور الأبصار للشبلنجي الشافعي، المطبعة اليوسفية، نشر مكتبة الجمهورية، مصر.
 - وسائل الشيعة للحر العاملي، المكتبة الإسلامية، ط سنة ١٣٨٥ هـ، إيران.
 - وسائل الشيعة للحر العاملي، ط سنة ١٣٨٥، المكتبة الإسلامية، إيران.
 - وفيات الأسلاف.

المحتويات

ن

٤ تقديم:

٥ تمهيد:

٧ نقاط لا بد من الإشارة إليها:

١١ حديث جامع في نقش خواتيم الأئمة^٨:

١ - الرسول الأكرم ١ ١٥

٢ - فاطمة الزهراء ÷ ١٧

٣ - أمير المؤمنين x ١٩

٤ - الإمام الحسن x ٢٥

٥ - الإمام الحسين x ٣٠

٦ - الإمام السجاد x ٣٣

٧ - الإمام الباقر x ٣٧

٨ - الإمام الصادق x ٤١

-
- ٩ - الإمام الكاظم x ٤٥
- ١٠ - الإمام الرضا x ٥٠
- ١١ - الإمام الجواد x ٥٧
- ١٢ - الإمام الهادي x ٥٨
- ١٣ - الإمام العسكري x ٦١
- ١٤ - الإمام المهدي x ٦٣
- كلمة ختامية: ٦٥
- المصادر والمراجع ٦٧
- المحتويات ٧١

كتب مطبوعة للمؤلف

- ١ - الآداب الطبية في الإسلام
- ٢ - ابن عباس وأموال البصرة (الطبعة الثانية مزيـدة ومنقحة)
- ٣ - ابن عربي سني متعصب
- ٤ - إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم
- ٥ - الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل
- ٦ - أحيوا أمرنا..
- ٧ - أكذوبتان حول الشريف الرضي (الطبعة الثانية مزيـدة ومنقحة)
- ٨ - أفلا تذكرون «حوارات في الدين والعقيدة»
- ٩ - أهل البيت ٨ في آية التطهير (الطبعة الثانية مزيـدة ومنقحة)
- ١٠ - براءة آدم x حقيقة قرآنية (الطبعة الثانية مزيـدة ومنقحة)
- ١١ - بنات النبي ١ أم ربائبه (الطبعة الثانية مزيـدة ومنقحة)
- ١٢ - بيان الأئمة وخطبة البيان في الميزان
- ١٣ - تفسير سورة الفاتحة
- ١٤ - تفسير سورة الكوثر
- ١٥ - تفسير سورة الماعون
- ١٦ - تفسير سورة الناس
- ١٧ - تفسير سورة «هل أتى» ٢/١

-
- ١٨ - حديث الإفك
 - ١٩ - حقائق هامة حول القرآن الكريم
 - ٢٠ - الحياة السياسية للإمام الجواد x (الطبعة الثانية مزيّدة ومنقحة)
 - ٢١ - الحياة السياسية للإمام الحسن x
 - ٢٢ - الحياة السياسية للإمام الرضا x (الطبعة الثانية مزيّدة ومنقحة)
 - ٢٣ - خلفيات كتاب مأساة الزهراء ÷ ٦/١
 - ٢٤ - دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام ٤/١
 - ٢٥ - دراسة في علامات الظهور والجزيرة الخضراء
 - ٢٦ - دراسة في علامات الظهور
 - ٢٧ - رد الشمس لعلي x
 - ٢٨ - زواج المتعة (تحقيق ودراسة) ٣/١
 - ٢٩ - الزواج المؤقت في الإسلام (المتعة)
 - ٣٠ - سلمان الفارسي في مواجهة التحدي
 - ٣١ - سنابل المجد (قصيدة إلى روح الإمام الخميني &)
 - ٣٢ - السوق في ظل الدولة الإسلامية
 - ٣٣ - الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة
 - ٣٤ - الصحيح من سيرة النبي الأعظم ١ ١٦/١
 - ٣٥ - صراع الحرية في عصر الشيخ المفيد &
 - ٣٦ - ظاهرة القارونية من أين وإلى أين؟
 - ٣٧ - ظلامه أبي طالب x
 - ٣٩ - ظلامه أم كلثوم

-
- ٤٠ - عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفيفاني
- ٤١ - علي x والخوارج ٢/١
- ٤٢ - الغدير والمعارضون (الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة)
- ٤٣ - القول الصائب في إثبات الربائب
- ٤٤ - كربلاء فوق الشبهات (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة)
- ٤٥ - لست بفوق أن أخطئ من كلام علي x
- ٤٦ - لماذا كتاب مأساة الزهراء ÷
- ٤٧ - مأساة الزهراء ÷ شبهات وردود ٢/١
- ٤٨ - ماذا عن الجزيرة الخضراء ومثلث برمودة؟!
- ٤٩ - مختصر مفيد.. (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة) ١١/١
- ٥٠ - مراسم عاشوراء «شبهات وردود» (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة)
- ٥١ - المدخل لدراسة السيرة النبوية المباركة
- ٥٢ - المسجد الأقصى أين؟
- ٥٣ - مقالات ودراسات
- ٥٤ - منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية
- ٥٥ - المواسم والمراسم
- ٥٦ - موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام
- ٥٧ - موقف علي x في الحديبية
- ٥٨ - نقش الخواتيم لدى الأئمة ٨
- ٥٩ - الولاية التشريعية
- ٦٠ - ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة